الرسالة اليمنية

شريعة اليهود وجدالهم مع الفرق الإسلامية ونبوءات آخر الزمان

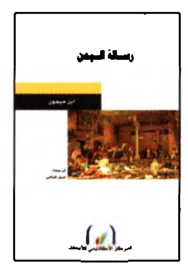
الحاخام موسى بن ميمون



ترجمة:
نبيل فياض



المركز الأكاديمي للأبحاث



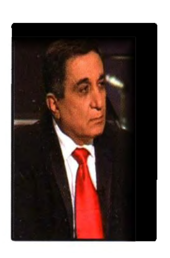
الحاخام موسى بن ميمون

1135-1204م

- ولد في قرطبه في الاندلس.
- لجات اسرته تدريجيا من الاندلس الى المغرب ثم الى مصر 1148م
- درس في جامعه فاس.
- تلقى تعليمه على ثلاثه من ابرز علماء عصره وهم: الفارابي، ابن سينا، ابن رشد.
- اصبح من اهم احبار اليهود في العصور الوسطى.
- عمل في مصر نقيبا للطائفة اليهوديه وطبيبا للسلطان صلاح الدين الايوبي.

من مؤلفاته:

- كتاب السراج (تفسير المشنا) عام 1166 1168م.
- التثنية (كتاب الشريعه اليهوديه)
- دلاله الحائرين.
- في تدبير الصحه.
- الفصول في علم الطب.
- الامثال الطبيه.



نبيل فياض

■ من مواليد سوريا.

■ حاصل على شهادة البكلوريوس في الصيدلة.

■ مهتم بدراسة الاديان المقارنة.

■ يتقن اللغات الإنكليزية الالمانية الإيطالية العبرية.

من مؤلفاته:

■ الشاعر المرتد عزرا باوند دراسة حول فلسفته.

■ يوم انحدر الجمل من السقيفة.

■ ام المؤمنين تاكل اولادها دراسة نقدية.

■ النصارى: دراسة لاهوتية موسعة لهذه الطائفة المنقرضة.

■ إبراهيم بين الروايات الدينية والتاريخية.

■ فروقات المصاحف.

من ترجماته:

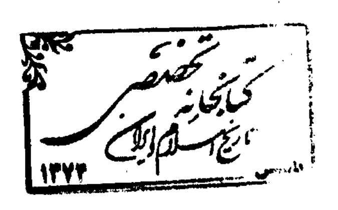
■ التلمود البابلي: رسالة عبدة الاوثان.

■ القصص الديني: حكايات الكتابية في القرآن. ترجمة عن الالمانية كتاب شباير الهام.

■ القرآن كتاب مقدس: ترجمة عن الانكليزية آرثر جفري.

■ حكايا الصعود: دراسة مجمعة من نصوص عديدة من الإيطالية والإنكليزية والالمانية لاسطورة الإسراء والمعراج.

■ محمد نبي الاسلام: ترجمة عن الانكليزية مايكل كوك.



الرسالة اليمنية

شريعة اليهود وجدالهم مع الفرق الإسلامية ونبوءات آخر الزمان

الحاخام موسى بن ميمون

ترجمة وتقديم نبيل فياض

الرسالة اليمنية

المركز الأكاديمي للأبحاث

الرسالة اليمنية (شريعة اليهود وجدالهم مع الفرق الإسلامية ونبؤات آخر الزمان)

Mūsa b. Maymūn . تأليف : موسى بن ميمون *Treatise of Yemen*

تصميم الكتاب وغلافه:المركز الأكاديمي للأبحاث ـ التقويم اللغوي:د.عبد الإله العرداوي

الناشر:المركز الأكاديمي للأبحاث

العراق - تورنتو ـ كندا

The Academic Center for Research

TORONTO -CANADA

موثق بدار الكتب والوثائق الكندية/Library and Archives Canada

ISBN ٩٧٨-١-٩٢٧٩٤٦-١٤-٥

بيروت - الطبعة الأولى ٢٠١٥

website\\www.academyc٢٠١٠.com

Email - nasseralkab@gamil.com

توزيع : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : بيروت ـ لبنان

الجناح ـ شارع زاهية سلمان ـ مبنى مجموعة تحسين الخياط

٧٦١١-٢٠٤٧ بيروت - لبنان

Tel:+٩٦١-١-٨٣٠٦٠٨ ____ Fax: +٩٦١-١-٨٣٠٦٠٩

Email:tradebooks@all-prints.com

Website:www.all-prints.com

مقدمة المركز الأكاديمي للأبحاث

إن المتن الحالي المترجم إلى العربية والمكتوب أصلاً بالحرف العبراني يصنف ضمن مجموعة النصوص العبرية المدونة ضمن السياق الإسلامي، غالباً يظهر فيه التأثير البيّني المهّجن لاستعمال العربية بوصفها وعاءاً للتعبير، ونقل الأفكار، بوساطة الكتابة بالحرف العبراني على الرغم من إشارة التأثير الواضحة التي من الممكن استلامها عبر هذا النمط من التأليف، غير إن المحتوى الموضوعي والمعلوماتي للكتاب يُنبأ عن محاولة للتخفي عن مجتمع القراء الجماعي الناطقين والقارئين للعربية إلى مجتمع الجالية اليهودية المتعايشة في أوساط إسلامية بوصفها المتلقي أو الهدف من وراء ذلك التأليف وهذا يوحي إلى أن المؤلف سعى بوساطة مؤلفه هذا إلى تجاوز المجتمع الإسلامي ومقيداته ورقابته إلى المجتمع اليهودي عبر رسالة إحيائية جاءت بطريقة الإجابة على أسئلة آنية استفتائية ضاغطة على مجتمع الأقلية الدينية.

ويبدو أن المؤلف قد تجاوز ثنائية الأديان المواجهة لبعضها البعض الآخر إلى الخوض في تفاصيل الفرق والمذاهب الإسلامية وطبيعة المناكثات والجدال الواقع فيما بينها، ذلك من أجل إيصال فكرة ذات طابع سيكولوجي ونفسي للتقاطعات وربما الإنقسامات إلى تلك الأقلية بأن الأكثرية تعيش أيضاً ذلك الحال من التشرذم والتفكك. فالكتاب من النصوص الداخلية التي تكتسب أهميتها من الوجهة اليهودية وكذلك من الممكن توظيفها في مجال الدراسات الإسلامية بوصفها وثيقة خارجية معاصرة أرشفت وأرخت للعديد من التطورات الداخلية كتبت بوساطة شخص يهودي ثقافته إسلامية ومتضلع بالتقاليد والتعاليم الإسلامية.

د. نصير الكعبي

تورنتو – كندا

٢٠١٤

ابن ميمون :

ابن ميمون، هو المعروف بالعبريّة باسم משה בן מימון (موشيه بن ميمون)، وبالعربيّة، أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي الإسرائيلي، وباليونانيّة Μωυσής Μαϊμονίδης موزيس ميمونادیس.

ثمة أسماء عبرانيّة كثيرة أخرى لابن ميمون، منها ميموناي מימוני أو ميمون بن موشيه رابي מימון בן משה רבי، وأشهرها التسمية رام بام רמב"ם التي هي الأحرف الأولى من الاسم رابي موشيه بار ميمون.

إنه المرجع التوراتي، المصنّف، الفيلسوف، والطبيب الملكي؛ أشهر شخصيّة يهوديّة في حقبة ما بعد التلمود.

من غير المقبول التخلّي عن ابن ميمون عربيّاً لأسباب دينيّة ضيّقة. من هنا، نحن نرى أن الثقافة العربيّة قامت على أسس معرفيّة ثلاثة، كلها من خلفيّة دينيّة: إسلاميّة، مسيحيّة، يهوديّة. ابن ميمون يهودي الدين، لكنه عربي اللغة والبيئة والتفكير. وحتى إن وجدنا في بعض نصوصه ما يعارض المسيحيّة أو الإسلام، لا يمكننا تصنيفه خارج الفرع اليهودي للثقافة العربيّة. دون أن ننسى أن الجدل بين الأطراف ذات الانتماءات المختلفة، إن داخل الإسلام أو خارجه، لم يستطع أن يحول بين المرء وانتمائه للثقافة العربيّة الشاملة. " *دليل الحائرين* " أو " *رسالة اليمن* " على سبيل المثال لا الحصر، عملان يحملان الهويّة العربيّة، لغة وبيئة، وإن كان لهما بعض الخصوصيّات الدينية، التي يمكن أن تضفي على الثقافة العربيّة أحد أشكال الغنى والتعددية.

يقول ابن أبي أصيبعة (١٢٠٣ - ١٢٦٩م) في كتابه الشهير «*طبقات الأطباء*»، عن موسى بن ميمون (١١٣٥ - ١٢٠٤م): «الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي، يهودي، عالم بين اليهود، ويعدّ من أحبارهم وفضلائهم، وكان رئيساً عليهم في الديار المصرية... وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين (الأيوبي) يرى له ويستطبّه، وكذلك ولده الملك الأفضل علي. وقيل أن الرئيس موسى قد أسلم في المغرب وحفظ القرآن و«اشتغل بالفقه» ثم إنه لما توجه إلى الديار المصرية ارتد»[١].

تكمن أهمية الرواية السابقة في صدورها عن ابن أبي أصيبعة، الطبيب الذي تعلّم الطب في المارستان الناصري في القاهرة[٢] والذي كان صديقاً لابراهيم بن موسى بن ميمون، الذي كان بدوره في خدمة الملك العادل[٣].

حياته:

تقول «الموسوعة اليهودية، النسخة الانجليزية»، عن موسى بن ميمون: «أشهر شخصية يهودية في الحقبة ما بعد التلمودية، وواحد من أعظم الشخصيات اليهودية على الإطلاق؛ ولد ابن ميمون في قرطبة بإسبانيا، لأب هو ديّان قرطبة (ديان: قاض ديني يهودي) ، وهو أيضاً عالم شهير "، في الثلاثين (أو العاشر) من آذار-مارس ١١٣٥ (يقول شلومو بينيس إنه ولد عام ١١٣٨)، وتوفي في الثالث عشر من كانون الأول-ديسمبر عام ١٢٠٤، في الفسطاط، مصر، عن عمر يناهز التاسعة والستين، ودفن في طبريّة. كانت ولادته في حقبة يعتبرها كثير من المثقفين، نهاية العصر الذهبي للثقافة اليهودية في الأندلس.

---

[١] *طبقات الأطباء* ٥٨٢

[٢] *المنجد* ٥٠

[٣] *طبقات الأطباء* ٥٨٣.

في عمر مبكر، أظهر ابن ميمون نوعاً من الاهتمام بالفلسفة والعلوم المحضة. وقد قرأ أعمال علماء مسلمين، كما قرأ فلاسفة يونان عبر الترجمات العربيّة لأعمالهم. وكان من الطبيعي أن يدرس التوراة، بإشراف والده ميمون، الذي درسها بدوره بإشراف الحاخام يوسف بن ميغاش. من الجدير بالذكر هنا، أن ابن ميمون عرف بمعارضته الشعر، الذي اعتبره مزيفاً، فهو برأيه نتاج لتلفيق محض؛ في بلد عرف بأنه قدّم للبشرية أجمل الأشعار باللغتين العربيّة والعبريّة.

غزا الموحدون القادمون من إفريقيا قرطبة في أيار أو حزيران من عام ١١٤٨. ووضع هؤلاء الجالية اليهودية في المدينة أمام خيارات ثلاث: الموت أو النفي أو الإسلام. فاختارت عائلة ميمون، أي الوالد وباقي الأسرة، كمعظم يهود قرطبة، النفي؛ وراح هؤلاء يتجولون في جنوب إسبانيا، متعمدين تجنب الغزاة الموحدين، حتى حط بهم الترحال أخيراً في فاس، عام ١١٦٠، حيث تحصّل ابن ميمون على معظم معارفه العلميّة، من خلال دراسته في جامعة القرويين. في ذلك الوقت، ألّف ابن ميمون شرحه للمشناه [التلمود مكون من مشناه وغماراه]، بين العامين ١١٦٦- ١١٦٨.

مع ذلك، فخلال سنوات التيه تلك، والتي يصفها ابن ميمون ذاته بأنها حقبة «كان فيها عقلي متعباً، وسط نفي مقدّر من الله، في رحلات وتقاذفات فوق عواصف البحر» (نهاية تفسير المشناه)، وضع أسس علومه الواسعة المتنوعة بل حتى عمله الأدبي أيضاً. فعام ١١٥٨م، لم يبدأ مسودة «السراج» وتفسيره الهام للمشناه فقط، بل كتب في السنة ذاتها، بناء على طلب أحد أصدقائه، مقالة في التقويم اليهودي، وأخرى في المنطق، كما أكمل كتابة ملاحظاته حول تفسير عدد من رسائل التلمود البابلي، إضافة إلى عمل كان هدفه استخلاص الهالاخا (القسم التشريعي) من التلمود الاورشليمي. وبحسب مصادر إسلامية فإن العائلة تحوّلت إلى الإسلام رسمياً في

مكان ما في الفترة مابين عامي ١١٥٠ و١١٦٠م. لكن سعاديا بن ديّان، يقول: إن المسلمين يقولون الشيء ذاته عن عدد من علماء اليهود، مثل دوناش بن تميم، حسداي بن حسداي، وغيرهما!

على أية حال، عام ١١٦٠م، كان ميمون وابناه، موسى وداود، وابنته، في فاس. فقد غيّر عبد المؤمن، الحاكم الموحدي، موقفه من اليهود، عندما تقدمت به السن؛ فصار أكثر اعتدالاً حيال أولئك الذين يعيشون وسط المغرب، الذي كان جزءاً من مملكته. لهذا السبب ربما ارتأى ميمون عام ١١٥٩م أو بداية عام ١١٦٠م أن فكرة الهجرة إلى فاس مع أسرته جديرة بالاعتبار. لقد سكن ابن ميمون فاس حين كان يستوطن فيها الحاخام يهودا هاكوهين بن شوشان، الذي وصلت شهرته بالعلم والتقوى إلى اسبانيا، وكان ابن ميمون آنذاك في الخامسة والعشرين من العمر، فدرس على يديه. كان عدد من اليهود قد تحولوا إلى الإسلام ظاهرياً عندئذ وكانت ضمائرهم تعذبهم، الأمر الذي حض ميمون على كتابة عمله «رسالة التعزية»[1] الذي أكد لهم فيه أن من يؤدي صلواته وان بأقصر صيغة ويقوم بأعمال صالحة يظل يهودياً (حمداه غنوزاه ٧٤ - ٨٢). أثناء ذلك، كان ابنه يعمل في تفسيره للمشنا، كما واصل أيضاً دراساته العامة، خاصة للطب؛ وهو في عمله الطبي يشير دائماً إلى ما حصل عليه من مسلمي شمال افريقيا من معارف وتجارب...

لا تشير رسائل الأب أو ابنه، وكذلك أقوال ابن ميمون بعد مغادرته مراكش، إلى اضطهادات أو اعتداءات دموية؛ لكن ابن ميمون في السطور الأولى من «رسالة في التبديل القسري للدين»، يستنكر بعنف إدانة المتحول عن دينه قسرياً من قبل «الحاخام

---

[1] يقول ابن ميمون بهذا الصدد: «إنه لم يُطلب إليهم أن يؤدوا شعائر هذا الدين أداءً عملياً، بل كل ماكان يطلب إليهم هو أن يتلوا صيغة لا يؤمنون بها، وان المسلمين أنفسهم يعرفون أنهم غير مخلصين في النطق بها، وإنما يفعلون ذلك ليخادعوا جماعة من المتعصبين».

المزيف الذي لم يختبر قط ما عانته جماعات يهودية عديدة من صنوف الاضطهاد»؛ وانتهى إلى القول انه على اليهودي أن يهاجر إذا ما أُجبر على انتهاك الشرع الإلهي: «عليه أن لا يبقى في دنيا ذلك الملك؛ وان يجلس في بيته حتى يهاجر». ويقول مرة أخرى، بإلحاح أشد: «عليه أن لا يبقى في منطقة التحول القسري بأي شكل؛ وكل من يبقى في مكان كهذا إنما يجدّف على اسم الله وهو شرير كالآثم عن قصد؛ أما بالنسبة لأولئك الذين يضللون أنفسهم بالقول إنهم سيبقون حتى يأتي المشيح (المسيح المنتظر) ويقودهم في حرب إلى القدس، فلا أعرف كيف سيطهرهم (المشيح) من وصمة عار تبديل الدين» (حمداه غنوزاه ١١ ب - ١٢آ).

عمل ميمون وأولاده وفق هذه النصيحة، مثل كثيرين غيرهم حتماً. ومن المفترض أن مغادرة ابن ميمون لبلد الموحدين حدثت عام ١١٦٥م، وهي مغادرة، كما يقول سعاديا بن ديّان (سدير هادوروت في حمداه غنوزاه، ٣ب)، حرّض عليها استشهاد يهودا بن شوشان، الذي دُعي إلى التخلي عن ديانته، ففضل الموت على الارتداد. ففي هذا العام اعتلى العرش ملك موحد جديد يبدو أنه اضطهد اليهود بقوة. وفي ظرف شهر، حلّت العائلة في عكّا. .

وهرب ميمون وعائلته.. إلى عكّا[1]... حيث أقاموا نحو ستة (أو خمسة؟؟) أشهر، وطدوا خلالها أصر صداقة حميمة مع الديّان يافث بن علي... وزاروا معه القدس؛ كما زاروا مغارة المكفيلا في الخليل. وعن ذلك، يقول ابن ميمون: «دخلت

---

[1] وصل ابن ميمون إلى فلسطين وقت كانت مسرحاً للصليبيين، العنيفين وغير المضيافين، فلم يكن قادراً على التجذر هناك.
انظر: M. Eliadc, *E. of Rcligion* ٩/١٣١

البيت الكبير المقدّس وصلّيت هناك يوم الخميس السادس من مار حشوان»[1]..
غادرت العائلة فلسطين مبحرة إلى مصر. وبعد إقامة قصيرة في الاسكندرية، انتقلت الأسرة إلى القاهرة وأقامت في الفسطاط، بلدة القاهرة القديمة.

في تلك الفترة، مات ميمون، إما في فلسطين أو في مصر. وقد اقتُرح أن سبب اختيار الاسكندرية هو وجود «أكاديمية أرسطو، معلم الاسكندر»، «خارج البلدة» آنذاك، والتي «كان الناس يأتون إليها من كافة أرجاء العالم لدراسة حكمة أرسطو الفيلسوف». لكن دوافع الانتقال إلى القاهرة غير مؤكدة. مع ذلك، فقد كان أثر ابن ميمون كبيراً ومؤثراً للغاية في القضاء على سلطة القرّائين المسيطرين آنذاك حتى أنه فاق في ذلك أثر كل حاخاميات القاهرة؛ وهو أمر فوق الشكوك؛ ففي القرن السابع عشر، قال ديّان في مصر اسمه يعقوب فرجي، إن هذا التحدي هو الذي أجبر ابن ميمون على الانتقال إلى القاهرة.

كان ابن ميمون في السنوات الثمان الاولى خالياً من كل هم. فقد كان أخوه داود، تاجر الأحجار الكريمة، يتولى إعالته، فاستطاع بالتالي تكريس ذاته بالكامل لتحضير أعماله للنشر ولعمله الشاق المشرّف، كقائد دبني وعلماني للطائفة. فأكمل تفسيره للمشناه، «السراج»، عام ١١٦٨م. لكنه أصيب بضربة عاصفة في السنة التي تلتها. فقد غرق أخوه داود في المحيط، حيث كان في رحلة عمل، تاركاً خلفه زوجة وطفلين؛ ولم تضع معه ثروة العائلة فحسب، بل أموال الآخرين أيضاً. كان وقع الصدمة سيئاً على ابن ميمون. فقد عانى من انهيار نحو سنة، ثم كان عليه أن يبحث عن مورد لعيشه. فقرر العمل في مجال الطب، رافضاً فكرة تحصيل عيشه من التوراة.

[1] الاسم الذي أُطلق على الشهر الثامن من السنة اليهودية في حقبة مابعد السبي، وهو يختصر عادة إلى حشوان. أما اسمه قبل السبي فهو «بول» (١ مل ٦:٣٨).

لم تأتِ شهرة ابن ميمون بسرعة، لكنها لم تبدأ بالذيوع، إلا بعدما تم تعيينه كواحد من أطباء الفاضل[1]، الذي عيّنه صلاح الدين وزيراً وكان حاكم مصر الفعلي بعد مغادرة صلاح الدين البلد عام ١١٧٤م... وحوالي عام ١١٧٧م، تم تعيينه رسمياً رئيساً للطائفة اليهودية (نغد) في الفسطاط. وظل منصب النغد حكراً على عائلة ميمون أربعة أجيال متتالية، أي حتى نهاية القرن الرابع عشر. وطبيب البلاط هي الحرفة التي أخذها عن والده، وكان في الثامنة عشرة.

يقال أيضاً، كما سبق وذكرنا، إنه كان طبيباً لصلاح الدين، لكن الشكوك تحيط برواية إرسال صلاح الدين له لمعالجة ريتشارد قلب الأسد، أثناء الحروب الصليبيّة. هذا لا يمنع اعتباره أعظم طبيب في زمنه.

كانت سنوات حياته في تلك الحقبة الأكثر عملاً وإثماراً. فقد تزوج في مصر من أخت ابن المالي، أحد مستشاري الملك، الذي تزوج بدوره من أخت ابن ميمون الوحيدة - كانت زوجة ابن ميمون الأولى قد ماتت صبية - وأنجبا ابناً واحداً هو ابراهيم، الذي كرّس ذاته بكل حب لتعليمه... ورغم انشغاله بحمل عمله الثقيل واهتمامه بمسائل الطائفة، ومراسلاته الكثيرة إلى كافة أرجاء العالم اليهودي (بغض النظر عن المنطقة الفرانكو جرمانيّة)، فقد استطاع تدوين العملين الكبيرين اللذين قامت شهرته عليهما أساساً: المشنيه توراه (جُمع عام ١١٨٠م) ودليل الحائرين (جمع عام ١١٨٥ وربما ١١٩٠). دون أن ننسى هنا تأثره الواضح بفلاسفة الإسلام، وعلى رأسهم الغزالي وابن رشد.

---

[1] يقول ول ديورانت: اختير طبيباً لنور الدين علي، أكبر أبناء صلاح الدين، والقاضي الفاضل البيساني، وزير صلاح الدين (*قصة الحضارة* ١٤/١٢١).

وغالباً ما كان يجري الاستشهاد بالمقطع التالي من رسالته إلى مُتَرجمه («للدليل») (دليل الحائرين مكتوب أصلاً باللغة العربية)، صموئيل بن طيبون، التي يصف فيها واجباته وهمومه الكثيرة، بهدف إقناع ابن طيبون بالعدول عن زيارته[1]:

«إني أقيم في مصر (الفسطاط) والسلطان يقيم في القاهرة (القاهرة)؛ وهذان المكانان يبعدان عن بعضهما مسافة رحلة يوم سبت. إن واجباتي حيال السلطان ثقيلة جداً؛ فأنا مجبّر على زيارته كل يوم؛ باكراً في الصباح؛ وحين يكون هو أو أحد أولاده، أو أي من حريمه، موعكاً، لا أجرؤ على مغادرة القاهرة، بل يجب أن أبقى جلّ يومي في القصر. وغالباً ما يحدث أن يمرض واحد أو إثنان من موظفي الملك، ولابد أن أسهر على علاجهم. وهكذا يتضمن نظامي اليومي الذهاب إلى القاهرة في الصباح الباكر جداً، حتى لو لم يحدث أي شيء، ولا أعود إلى مصر حتى ما بعد الظهر. وعندها أكون شبه ميت من الجوع... لأجد القاعات ممتلئة باليهود والأغراب، النبلاء والعامة، القضاة والحجّاب، الأصدقاء والأعداء - خليط من الناس في انتظار عودتي.

نتيجة لذلك، لا يمكن لاسرائيلي أن يلتقي بي على انفراد، غير يوم السبت. ففي ذلك اليوم، تأتي إليّ الطائفة كلها، أو معظم أفرادها، بعد الخدمة الصباحية (في الكنيس)، حيث أعلّمهم واجباتهم خلال الاسبوع بطوله؛ فندرس سوية حتى ما بعد الظهيرة، وعندها يغادرونني. لكن بعضهم يعود، ويظل يقرأ معي من بعد خدمة ما بعد *الظهيرة* حتى صلاة المساء... بهذه الطريقة أمضي اليوم».

بعكس سلاطين مصر السنة، كان حاكم اليمن شيعياً، وكان يمارس الاضطهاد الديني، فيعطي اليهود حرية الاختيار بين التحول إلى الإسلام أو الموت. ولم يؤد هذا

---

[1] يقول أيضاً في تلك الرسالة: أخبرك أني أحرزت شهرة كبيرة في الطب بين كبار الناس، مثل قاضي القضاة، الأمراء... وغيرهم... وهذا مايجبرني على قضاء وقتي في القاهرة باستمرار أزور المرضى.
انظر: M. Eliade, *E. of Religion* ٩/١٣١

إلى موت العديدين فحسب، بل لقد ظهر بين اليهود أيضاً مسيح دجال أو مبشر بقدوم المسيح، رأى في هذه الحوادث الظلام الدامس الذي يسبق الفجر، الذي يبشر بقرب مجيء العصر المسياني. فاستدار يهود اليمن بيأس إلى ابن ميمون، الذي استجاب لمطلبهم عام ١١٧٢م[١] بالرسالة اليمنية. وكانت موجهة للحاخام نتانئيل الفيومي، والذي طُلب إليه إرسال نسخة عنها إلى كل الجماعات في اليمن.

كانت (الرسالة) محررة بعبارات بسيطة على نحو مقصود: «بحيث يمكن للرجال والنساء والأولاد قراءتها بسهولة»...

كانت آثار الرسالة هائلة. إلى درجة أن يهود اليمن أدخلوا صلاة «لأجل نفس معلمنا موسى بن ميمون» في القوديش، عرفاناً منهم بالجميل لرسالة الأمل؛ كذلك لابد من الإشارة إلى أن ابن ميمون استخدم نفوذه في البلاط لتخفيف الضرائب الثقيلة عن كاهل يهود اليمن.

مع إكمال «الدليل»، وصل عمل ابن ميمون الأدبي إلى نهايته، ورغم صحته المتعبة ظل على رأس عمله كرئيس للطائفة اليهودية وكطبيب للبلاط، إضافة إلى مراسلاته الكثيرة...

مات ابن ميمون يوم ١٣/١١/١٢٠٤»[٢].

انتشر الحزن بعد موته في أرجاء الجاليات اليهوديّة في العالم. في الفسطاط، على سبيل المثال، أقيم العزاء ثلاثة أيام، وفي القدس صام الشعب اليهودي، وكانت تقرأ التوراة ليختم ذلك بآية، " ترك المجد إسرائيل، لأن تابوت عهد الرب قد أخذ " (١ صم ٤:٢٢). نقلت بقاياه إلى طبريّة، وما يزال قبره هناك كعبة للمتقين.

---

[١] يجب أن نلاحظ هنا، أن الأيوبيين دخلوا اليمن عام ١١٧٣، أي بعد وصول رسالة ابن ميمون إليها بأشهر. ولا نعرف بدقة دور اليهود في ذلك.

[٢] *Encyclopcadia Judaica* ١١/٧٥٤.

ابن ميمون وصلاح الدين:

بحسب يهودا الحريزي[1]، فقد أصدر (صلاح الدين)، عام ١١٩٠م، مرسوماً دعا فيه اليهود إلى الاستيطان في القدس، وكان الصليبيون حظروا عليهم الإقامة فيها أثناء احتلالهم المدينة. وبالفعل، فإن الحاخام الحريزي، حين زار القدس عام ١٢١٦ (مات صلاح الدين عام ١١٩٣)، وجد فيها « جماعة يهودية معتبرة مكوّنة من مهاجرين من فرنسا، المغرب، وسكان عسقلان السابقين»[2]. - فما هو دور ابن ميمون في هذا المرسوم السلطاني؟

كان لشهرة ابن ميمون الطبية الدور الأبرز في لفت أنظار البلاط إليه، والتي «أتاحت له أن يجمع بين رعاية السلطان صلاح الدين ورعاية نخبة المجتمع القاهري»[3]. وهكذا «استخدم ابن ميمون نفوذه في بلاط السلطان لحماية يهود مصر، ولما فتح صلاح الدين فلسطين أقنعه ابن ميمون بأن يسمح لليهود بالإقامة فيها من جديد»[4]، «وابتناء كنس[5] ومدارس»[6].

كانت مكانة ابن ميمون رفيعة جداً عند صلاح الدين: «فعام ١١٨٧، أفهم أحد قضاة المسلمين صلاح الدين أن ابن ميمون مرتد عن الإسلام، وطالب ان توقع عليه عقوبة القتل التي هي جزاء المرتدين، لكن الوزير (وزير صلاح الدين الذي كان صديق

---

[1] يهودا بن سليمان الحريزي، مترجم وشاعر عبراني، ولد في إسبانيا، وزار الشرق، حيث أطلع الجاليات اليهودية هناك على الثقافة العبرية الإسبانية.

[2] *E. Judacca* ١٤/٦٦٩

[3] جورج طرابيشي، *معجم الفلاسفة* ٣١.

[4] Zeitlin, *Mimoniades*, ١٧٨

[5] يقول جورج طرابيشي: بعد أن فتح صلاح الدين القدس، استحصل (ابن ميمون) لأبناء ملته على أساس في التوطن فيها، وفي فلسطين بصفة عامة. *المرجع السابق* ٣٢.

[6] *المرجع السابق* ٣٢.

ابن ميمون الحميم) أنقذ ابن ميمون حين قال، إن الرجل الذي أُرغم على اعتناق الإسلام لا يمكن أن يعتبر مرتداً بحق»[1]. وقبل صلاح الدين بحجة وزيره.

ويذكر «ول ديورانت» أن صلاح الدين الذي أعدم الفيلسوف والامام الشافعي، «شيخ الإشراق»، شهاب الدين بن يحيى السهروردي، متهماً إياه بالخروج عن الدين، غض الطرف تماماً عن موسى بن ميمون، الذي نشر في الشهر ذاته، «مقالة حول قيامة الموتى»، وعبَّر فيها عن تشككه في عقيدة الخلود الجسمي[2]. كما أصم صلاح الدين أذنيه أيضاً عن تسفيه عبد اللطيف البغدادي لابن ميمون، بعد صدور «دليل الحائرين»، واتهامه له بأنه «يهدم أركان جميع الأديان بالوسائل نفسها التي يخيّل إلى الناس أنه يدعمها بها»[3].

ابن ميمون الفيلسوف:

كان لابن ميمون الأثر البالغ على من جاء بعده من فلاسفة يهود وعلى تطوّر اليهوديّة، فقد لعب دوراً لا يمكن تثمينه في تطوّر اليهوديّة بعده؛ وما من أحد غيره من القادة اليهود في حقبة ما بعد التلمود كان له الأثر الذي كان لابن ميمون على جيله والأجيال التي جاءت بعده؛ كذلك لا يمكن إغفال تأثيره على مفكّرين مسيحيين مثل توما الأكويني، الذي نظر إليه بإجلال كبير، ومايستر إيكهارت، الأمر الذي يجعله واحداً من أبرز رموز الفكر الغربي. وبين الباحثين المعاصرين، ما يزال الرجل الأكثر إثارة للمعارك الفكريّة. فقد تمّ تبنيه كرمز وكبطل ثقافي من قبل معظم الحركات الفكريّة في اليهوديّة المعاصرة، كما حظي بأهميّة فائقة عند فلاسفة مثل ليو شتراوس؛ دون أن ننسى أن آراءه المتعلّقة بأهميّة التواضع تبناها بعض الفلاسفة الإنسانيّين

---

[1] Arnold, Sirt., *Preaching of Islam*, ٤٢١

[2] *قصة الحضارة* ١٢١/١٤

[3] *المرجع السابق*.

المعاصرين، مثل بيتر زنغر وإيان كينغ. في العالم الأكاديمي، خاصة في حقل الدراسات اليهوديّة، سيطرت تعاليم ابن ميمون عبر العلماء التقليديين، الذين كانوا في غالبيتهم من اليهود الأرثوذكس، والذين كانوا يعتمدون للغاية على ابن ميمون باعتباره عقلانياً. ونتيجة لذلك فإن سمات كثيرة في فكر ابن ميمون تم تحاشيها، منها على سبيل المثال لا الحصر، معارضته لفكرة المركزيّة البشريّة anthropocentrism [اعتبار البشر مركز الحقيقة]. هنالك دوائر في الحلقات ما بعد الحداثوية، مثل جماعة الإيكوثيولوجيا ecotheology [فرع من اللاهوت يركّز على العلاقة بين الدين والطبيعة]، تتبنى ابن ميمون لغايات أخرى. من هنا فإن أهمية ابن ميمون لمنظومات فكريّة متنوعة تكمن في اعتناق الفيلسوف لأفكار متعارضة بل غالباً متناقضة. ومحاولة ابن ميمون التوفيق بين ما هو فلسفي وما هو تقليدي أضفت على إرثه سمة التنوع والدينامية الهائلة. إحدى العقائد المركزيّة في فلسفة ابن ميمون هي استحالة التناقض بين الحقائق التي يتوصل إليها العقل البشري مع تلك التي يوحي بها الله.ومع أن أعماله الكثيرة في الشرع والأخلاق اليهوديين قوبلت في البدء أثناء حياته بنوع من المعارضة، فقد اعتبر بعد وفاته واحداً من أهم الفلاسفة والحكماء الربانيين في التاريخ اليهودي. وتعتبر أفكاره اليوم حجر الزاوية في الفكر والدراسات اليهودية.

كان ابن ميمون أحد أهم الشخصيات تأثيراً في الفلسفة اليهوديّة القروسطيّة. وهنالك مثل شعبي من القرون الوسطى منقوش على قبره، يقول: ما بعد موسى [التوراة] غير موسى [بن ميمون]. من هنا، ففي القرون التي أعقبت زمن ابن ميمون تم تقسيم العلماء اليهود الراديكاليين إلى " ميمونيين " أو " ضد – ميمونيين ". أما العلماء المعتدلون فقد كانوا أشخاصاً اصطفائيين والذين قبلوا على نحو عريض بالنظرة الابن – ميمونيّة للكون ذات الأصل الأرسطوي، لكنهم رفضوا تلك

العناصر فيها التي اعتبروها مناقضة للتقاليد الدينيّة. وقد وصلت هذه الانتقائيّة إلى قمتها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

عبر دليل الحائرين والمقدمات الفلسفيّة لأقسام من تفاسيره للمشناه، كان لابن ميمون تأثير كبير على الفلاسفة السكولاستيين، خاصة ألبرت الكبير، توما الأكويني ودنس سكوتس. وقد كان ابن ميمون ذاته سكولاستيّاً يهوديّاً. فقد اكتسب الرجل معارفه عبر قراءة أعمال الفلاسفة المسلمين العرب لا الاحتكاك الشخصي مع المعلمين العرب، ووصل بالتالي إلى معرفة حميمة ليس فقط بالفلسفة العربيّة الإسلاميّة، بل أيضاً بمبادئ أرسطو. وقد جاهد ابن ميمون للتوفيق بين الفلسفة الأرسطويّة والعلم من ناحية، وتعاليم التوراة من ناحية أخرى. إن المبدأ الذي أوحى له بكامل فعاليته الفلسفيّة كان يتماثل مع العقيدة الأساسيّة للسكولاستيّة: لا يمكن أن يكون ثمة تناقض بين الحقائق الموحاة من الله، واكتشافات العقل البشري في العلم والفلسفة. وقد اعتمد ابن ميمون بشكل رئيس على العلم الأرسطوي وتعاليم التلمود، حيث اكتشف عموماً أسساً في الأول للأخير. مع ذلك، كان يبعد في بعض المواضع الهامة عن تعاليم أرسطو؛ فعلى سبيل المثال، رفض المذهب الأرسطوي القائل إن العناية الإلهية تشمل البشريّة فحسب، لكن ليس الفرد كفرد.

قاد إعجاب ابن ميمون بالتفاسير الأفلاطونيّة الجديدة إلى التمسّك بكثير من المذاهب اللاتي لم يستطع السكولاستيّون القبول بها. وكما ذكرنا من قبل، كان ابن ميمون من أنصار " اللاهوت السلبي ". وفي هذا اللاهوت، يسعى المرء إلى وصف الله بالنعوت السلبيّة. وعلى سبيل المثال، على المرء أن لا يقول إن الله موجود بالمعنى العادي للمصطلح؛ كل ما يمكننا قوله بأمان إن الله ليس غير موجود. يجب أن لا نقول إن " الله حكيم "؛ لكن يمكننا القول إن " الله غير جاهل "، أي، بشكل أو

بآخر، لله بعض سمات المعرفة. يجب أن لا نقول إن " الله واحد "، بل يمكننا القول إنه " ليس ثمة تعددية في كينونة الله ". باختصار، محاولة الوصول إلى معرفة بالله والتعبير عن تلك المعرفة عبر وصف ما ليس هو الله؛ لا بوصف ما يكونه الله. يتفق معه السكولاستيّون أنه ما من محمول يمكن أن يكون كافياً للتعبير عن طبيعة الله؛ لكنهم لم يمضوا قدماً ليقولوا إنه لا يمكن تطبيق مصطلح على الله بالمعنى الإيجابي. وقد أقرّوا أنه في حين أن " أزلي "، " كلّي القوة "، إلخ...، أي المفردات التي نطلقها على الله، هي غير كافية، يمكننا القول في الوقت ذاته إن " الله أزلي " إلخ.، دون أن نتوقف، كما فعل موسى، مع التعبير السلبي، " الله ليس غير أزلي ". إن ما أراد ابن ميمون التعبير عنه أساساً هو أنه حين يطلق الناس على الله صفات بشريّة فهم لا يعبّرون عمّا يكونه الله، لأننا لا نعرف أي شيء عن جوهر الله.

لم يكن ابن ميمون فريد عصره في استخدام اللاهوت السلبي، إن عند اليهود أو عند غيرهم. فقد سبقه إلى ذلك كثير من لاهوتيي الكنيسة المشرقيّة، مثل مكسيموس المعترف، الذي قدّم للمسيحيّة نوعاً من اللاهوت السلبي قبل ابن ميمون بنحو من تسعمئة عام.

في القرون الوسطى كان حسيداي قرسقاس חסדאי קרשקש (١٣٤٠ – ١٤١٠\\ ١٤١١) أعنف من انتقد ابن ميمون، خاصة في عمله الشهير أور أدوناي אור אֲד ֹנָי [نور الرب] الذي يعرف أحياناً باسم أور ها شيم 'אור ה [نور الاسم أو نور الله]. لقد وبّخ قرسقاس التيّار الانتقائي عبر دحض موثوقيّة المنظور الأرسطوي للعالم، ليس فقط في المسائل الدينيّة، بل أيضاً في أكثر المساحات قاعديّة في العلم القروسطي (كالفيزياء والجبر). وقد حرضّت نقديّة قرسقاس عدداً من علماء القرن الخامس عشر على كتابة مقالات دفاعيّة عن ابن ميمون.

مبادئ الإيمان الثلاثة عشر عند ابن ميمون:

في تعليقه على المشناه (رسالة السنهدرين، الفصل العاشر)، يقدّم لنا ابن ميمون صيغه لمبادئ الإيمان الثلاثة عشر. وهذه المبادئ تختصر ما ارتأى أنه العقائد المطلوبة في اليهوديّة:

١ – وجود الله.

٢ – وحدة الله.

٣ – روحانيّة الله ولا ماديته.

٤ – أزليّة الله.

٥ – وحده الله يجب أن يكون غرض العبادة.

٦ – الوحي عبر أنبياء الله.

٧ – أولويّة موسى بين الأنبياء.

٨ – وحي الله أعطي على جبل سيناء.

٩ – عصمة التوراة باعتبارها شرع الله.

١٠ – معرفة الله المسبقة بالأفعال البشريّة.

١١ – ثواب الخيّر وعقاب الشرير.

١٢ – مجيء المسيح اليهودي.

١٣ – قيامة الموتى.

أثارت هذه المبادئ كثيراً من الجدل حين طرحت للمرّة الأولى، حيث حرضت على انتقادها كلاً من الحاخام حسيداي قرسقاس والحاخام يوسف ألبو، كما تم تجاهلها عملياً من قبل كثيرين ضمن الطائفة اليهوديّة في القرون القليلة التي تلت. مع ذلك، فهذه المبادئ أضحت معتمدة على نطاق واسع؛ واليهوديّة الأرثوذكسيّة تعتبر اليوم هذه الاعتقادات إجباريّة. بل إن عبارتين شعريتين من هذه المبادئ (آني ميئامين אני מאמין [أنا أؤمن] ويغدال יִגְדַּל [أيها الإله الحي]) أخذتا في نهاية الأمر شكلاً قانونياً حين أدخلتا في السيدور، أو كتاب الصلاة اليهودي.

المشنه توراه:

في هذا العمل الضخم، يقدّم لنا ابن ميمون أوسع وأعمق منظومة تشريعيّة يهوديّة. يضم هذا العمل كل الشرائع الملزمة من التلمود، إضافة إلى آراء الغيئونيم، وهم العلماء اليهود من بدايات العصور الوسطى ما بعد التلموديين، الذين ينتمي معظمهم إلى بلاد ما بين النهرين. وفي حين تعتبر المشنه توراه سلف الأربعاه طوريم ארבעה טורים (أو المجاديف الأربعة؛ عمل هالاخي هام، ألّفه يعقوب بن أشير) والشولحان عاروخ שולחן ערוך (أو الطاولة لفرد واحد ، عمل هالاخي هام، ألفه الحاخام يوسف قارو، حاولنا نشره بالعربية، لكن الظرف لم يسمح باستمرار التجربة)، وهما منظومتان شرائعيتان لاحقتان، فقد قوبلت في البداية بكثير من المعارضة. وكان ثمة سببان رئيسان لهذه المعارضة. الأول هو إغفال ابن ميمون إضافة المراجع بداعي الاختصار؛ والثاني هو إعطائه الانطباع أنه يريد " إنهاء " دراسة التلمود، أي الوصول إلى نهاية الشرع اليهودي. وكان حاخامات جنوب فرنسا ألد معارضيه، وكان أبرزهم الحاخام أبراهام بن دافيد. مع ذلك، يعتبر العمل اليوم

مساهمة بارزة إلى نص الهالاخاه المنتظم. وعبر القرون، درست أقسامه الهالاخيّة على نطاق واسع وقومت بشكل رفيع وفق الأحكام المتأخرة.

النبوءة:

يتفق ابن ميمون مع الفلاسفة في التعاليم التي تقول، إن عقل الإنسان هو حلقة في سلسلة العقول المنبثقة من الله، وعلى النبي أن يعلو بنفسه، عبر الدراسة والتأمل، كي يصل إلى درج الكمال التي تتطلبها وضعيّة النبوة. لكنه يستلهم سلطة " الشريعة "، التي تعلّم أنه، بعد الوصول إلى حالة الكمال، نجد مطلوباً " أفعال الله الحرّة "، قبل أن يصبح الإنسان نبيّاً بالفعل.

معضلة الشر:

كتب ابن ميمون في الثيوديسيا (المحاولة الفلسفيّة للتوفيق بين وجود الله ووجود الشر في العالم). وقد انطلق من مقدمة منطقيّة تقول إن الله الكلي القوة والخيّر موجود. ليتبنّى الرأي الأرسطوي الذي يعرّف الشر على أنه عوز لحضور الله أو نقص فيه، كما يتبدّى عند أولئك الذين يمارسون خيارهم الحر في رفض الإيمان.

علم التنجيم:

في إجابة على سؤال ورده من مرسيليا حول علم التنجيم، قال ابن ميمون إنه على الإنسان أن يؤمن فقط بما يدعمه الدليل العقلي، أو دليل الحواس، أو مرجعيّة موثوقة. ويؤكّد هنا أنه درس علم التنجيم، وأنه لا يستحق أن يوصف بالعلم. وهو يرى أنه من السخيف افتراض أن قدر الإنسان يمكن أن يعتمد على حركة الأفلاك؛ ثم يبرهن على أن نظرية كهذه يمكن أن تسرق من الحياة هدفها، ويمكن أن تجعل من الإنسان عبداً للقدر.

الاعتقادات الحقيقية مقابل الاعتقادات الضروريّة:

في " دليل الحائرين "، الكتاب الثالث، الفصل الثامن والعشرون، يرسم ابن ميمون خطاً واضحاً بين الاعتقادات الحقيقية، التي هي اعتقادات تعلّق بالله قدمها الكمال العقلي، والاعتقادات الضروريّة، التي تستخدم لتطوير المنظومة الاجتماعيّة. وابن ميمون يضع العبارات التشخيصيّة البشريّة المتعلّقة بالله في المرتبة الثانية. ويستخدم مثالاً على الفكرة أن الله يغضب من الذين يخطئون. وبرأي ابن ميمون، المستمد من ابن سينا، لا يغضب الله من الناس فعليّاً، كون الله لا يمتلك مشاعر بشريّة؛ لكن من الضروري بالنسبة لهم أن يؤمنوا أن الله يغضب، ليمسك الناس عن الخطيئة.

القيامة، الأبديّة المكتسبة، وما بعد الحياة:

يميّز ابن ميمون بين نوعين من الذكاء في الإنسان، الأول مادي، بمعنى الاعتماد على الجسد والتأثّر به، والثاني لامادي، أي أنه مستقل عن العضويّة الجسديّة. ينبثق الثاني مباشرة عن العقل الفاعل الكوني؛ وهنا نجد تفسير ابن ميمون لمفهوم الـ *noûs poietikós* في الفلسفة الأرسطويّة؛ ويتم الوصول إليه نتيجة لجهود النفس كي تحصل على معرفة صحيحة بالمطلق، أي العقل الصافي لله. إن المعرفة بالله هي شكل معرفة يطوّر فينا العقل اللامادي، وبالتالي يضفي على الإنسان طبيعة روحانيّة، لا ماديّة. وهذا بدوره يضفي على النفس ذلك الكمال الذي تتشكّل فيه السعادة البشريّة، ويقدّم للنفس عطيّة اللافناء. إن من يصل إلى معرفة صحيحة بالله يصل إلى حالة وجود تضفي عليه مناعة من كافة الحوادث الطارئة، من كل مغويات الإثم، بل من الموت ذاته.

إن التشابه بين هذا المذهب ومذهب اسبينوزا حول الخلود ملفت إلى درجة أنه يسمح لنا بأن نفترض أن هنالك اعتماداً سببياً لمذهب الأخير على مذهب الأوّل. مع ذلك فالفروقات بين المفكّرين اليهوديين ملفت للنظر كالتشابه. ففي حين تقول تعاليم اسبينوزا إن الطريقة للحصول على معرفة تضفي الخلود تكمن في التقدّم من معرفة الحواس عبر المعرفة العلميّة إلى الحدس الفلسفي بكل الأشياء من وجهة نظر الخلود، يعتقد ابن ميمون أن الطريق إلى الكمال والخلود هي طريق الواجب كما تصفه التوراة والفهم الربّاني للشرع الشفوي.

لم يؤمن اليهود المتدينون فقط بالخلود وفق معنى روحاني، بل آمن معظمهم أنه في زمن مستقبلي ستكون ثمة حقبة مسيانيّة وقيامة للموتى. وهذا هو موضوع الاسكاتولوجيا اليهوديّة. لقد كتب ابن ميمون كثيراً في هذه المسألة، لكنه في معظم الحالات كتب عن أزليّة النفس عند أصحاب العقل الكامل؛ فكتاباته عادة لم تكن حول قيامة أجساد الموتى. وقد حرّض هذا على نقديّة عدائيّة من قبل الحاخاميم في زمنه، وأشعل شرارة جدل حول آرائه الحقيقية.

عادة ما تشير العمال الحاخاميّة إلى حقبة ما بعد الحياة هذه باسم عولام هابا עולם הבא (العالم الذي سيأتي). لكن بعض الأعمال الحاخاميّة تستخدم هذه العبارة في الإشارة إلى الحقبة المسيانيّة، وهي حقبة من التاريخ تكون هنا على الأرض؛ لكن في أعمال حاخاميّة أخرى تشير هذه العبارة إلى عالم روحاني صرف. وفي زمن ابن ميمون أدى هذا الافتقاد إلى التوافق إلى كم كبير من الجدل، حتى اتهم ابن ميمون بالهرطقة من قبل بعض القادة اليهود.

علّم بعض اليهود في هذا الزمن أن اليهوديّة لم تطلب الاعتقاد بالقيامة الجسديّة للموتى، كون ما بعد الحياة عالماً روحانياً صرفاً. وقد استخدموا أعمال ابن ميمون في

المسألة لدعم مواقفهم. بالمقابل، فقد زعم مناوئوهم أن هذا هرطقة لا ريب فيها؛ فما بعد الحياة بالنسبة لهم كان هنا على الأرض، حيث سيقيم الله أجساد الموتى من القبور بحيث يمكن لمن قاموا أن يعيشوا إلى الأبد. وقد أدخل ابن ميمون في هذا الجدل من قبل الطرفين على حد سواء، حيث قالت الجماعة الأولى إن آراءه تتفق معهم، وصورته الجماعة الثانية كمهرطق لأنه كتب أن ما بعد الحياة لا يكون إلا للروح غير الماديّة فحسب. أخيراً، فقد أجبر ابن ميمون على كتابة مقالة في الموضوع، معمار تحيات ها ميتيم، أو، مقالة حول قيامة الموتى.

يشير الفصل الثاني من المقالة حول قيامة الموتى إلى أولئك الذين يعتقدون أن العالم الآتي يتضمّن قيامة لأجساد ماديّة. ويقول ابن ميمون عمن يؤمن باعتقادات كهذه على " مغفّل بالمطلق "، وأن اعتقاده " سخافة ". إذا رفض واحد من كثير أن يؤمن أن الملائكة لا أجساد لها وفضّل الإيمان أن للملائكة أجساداً وأنهم يأكلون، لأنه مكتوب " وأكلوا " (سفر التكوين ١٨:٨)، أو أن أولئك الذين سيتواجدون في العالم الآتي ستكون لهم أجساد أيضاً – لن نقول شيئاً ضدّه أو نعتبره مهرطقاً، بل لن ننأى بأنفسنا عنه. قد يكون ثمة كثيرون يؤمنون بهذه السخافة، ودعونا نأمل أن لا يذهب إلى ما هو أبعد في سخافته ويعتقد أن الخالق مادة. مع ذلك، يكتب ابن ميمون أيضاً أن أولئك الذين زعموا أنه اعتقد بالكامل أن الآيات في التوراة العبرانيّة التي تشير إلى القيامة مجازيّة ليس إلا فقد كانوا ينشرون " السخافات " والعبارات " المحرّضة على الثورة ". ويؤكّد ابن ميمون أن الإيمان بالقيامة حقيقة أساسيّة في اليهودية ليس هنالك اختلاف بشأنها، ومن غير المسموح لأي يهودي أن يدعم من يعتقد بغير ذلك. ويستشهد بسفر دانيال (١٢:٢؛ ١٢:١٣)، كدلائل قطعيّة على القيامة الجسديّة للموتى حين يقال " كثير من الراقدين في أرض التراب يستيقظون، بعضهم للحياة

الأبديّة، وبعضهم للعار والرذل الأبدي "، و " أنت اذهب إلى النهاية، وستستريح وتقوم لنيل نصيبك في نهاية الأيام ". وفي حين يمكن النظر إلى هذين الموقفين وكأنهما متناقضان (الحياة الأبدية غير المادية، مقابل القيامة الجسديّة)، فقد قدّم لنا ابن ميمون حلاً لا نظير له: اعتقد ابن ميمون أن القيامة ليست دائمة ولا عموميّة. فالله، برأيه، لا يمكن أن ينتهك قوانين الطبيعة. بل إن التدخل الإلهي عبر الملائكة، الذين اعتقد ابن ميمون أنهم استعارات مجازيّة للتعبير عن قوانين الطبيعة، المبادئ التي يعمل بحسبها الكون الفيزيائي، أو الصيغ الأفلاطونيّة الأبديّة. وهكذا، حين يحدث حدث فريد بالفعل، حتى حين يتمّ تخيّله كمعجزة، فهو لا يكون انتهاكاً لنظام العالم.

وفقاً لهذا الرأي، فإن أي موتى يقومون يجب أن يموتوا من جديد في نهاية الأمر. وفي نقاشه لمبادئ الإيمان الثلاثة عشر، نجد أن الخمسة الأوائل تتناول مسألة معرفة الله، أما الأربعة التي تليها فتحكي عن النبوّة والتوراة، في حين تعالج الأربعة الأخيرة مسائل الثواب والعقاب والخلاص النهائي. لكن ابن ميمون لا يقول شيئاً عن قيامة عامة. كل ما يقوله هو أنه مهما كان شكل القيامة التي ستحصل، فهي ستأتي في وقت متوسط قبل العالم الآتي، الذي نجده يعيد القول إنه عالم روحاني صرف.

يكتب ابن ميمون: " يظهر لنا أنه على أساس من هاتين الايتين (دانيال ١٢ : ٢، ١٣)، يعتقد أولئك الناس الذين سيعودون إلى تلك الأجساد أنهم سيأكلون ويشربون ويتضاجعون وينجبون، ثم يموتون بعد حياة طويلة للغاية، مثل حيوات أولئك الذين سيعيشون في زمن المسيح [اليهودي] ". وهكذا فابن ميمون يفصل بين قيامة الموتى من ناحية، والعالم الآتي وحقبة المسيح من ناحية أخرى.

في زمن ابن ميمون، كان يهود كثيرون يؤمنون أن القيامة الجسديّة تتماثل مع العالم الآتي؛ وهكذا فإن إنكار قيامة دائمة وشاملة اعتبر مماثلاً لإنكار كلمات التلمود.

لكن عوضاً عن إنكار القيامة، أو تأييد العقيدة المتداولة، اختار ابن ميمون طريقاً ثالثة: ليس للقيامة علاقة بالحقبة المسيحيّة (هنا في هذا العالم) ولا بالعالم الآتي (ما بعد الحياة الروحانيّة الصافية). بل اعتبر أن القيامة هي معجزة تنبّأ بها سفر دانيال؛ وهكذا يمكننا توقع حدوث نماذج عن قيامة مؤقتة في أزمنة بعينها، الأمر الذي لا مكان له في الحياة الأبديّة النهائيّة للأخيار.

ابن ميمون، الطبيب

تدرّب ابن ميمون كطبيب في قرطبة وفاس. ثم مارس من ثم مهنته في مصر في العام ١١٦٦ أو ١١٦٧، بعد وفاة أخيه الذي كان يعيله، وبقي على هذا المنوال حتى نهاية حياته.فحظي بشهرة كبيرة وأضحى طبيب البلاط للمستشار الفاضل، ثم للسلطان صلاح الدين، وظل طبيب الغائلة السلطانيّة حتى بعد وفاة السلطان. في كتاباته وصف ابن ميمون أمراضاً عديدة كالربو، السكّري، التهاب الكبد وذات الرئة؛ وأكد في علاجاته على الاعتدال في العيش وأسلوب الحياة الصحي. وكان لكتاباته تأثير كبير على أجيال من الأطباء. فقد كان مطلعاً على الطبيّن اليوناني والفارسي، وكان يتبع مبادئ هوميروس عبر تقليد غالينوس، لكنه لم يقبل بتلك المرجعيّة على نحو أعمى، بل استخدم تجاربه وملاحظاته الخاصّة. وقد أشار بعضهم إلى أن ابن ميمون لم يسع في كتاباته الطبيّة إلى استكشاف أفكار جديدة بل إلى تفسير أعمال المراجع بحيث يمكن أن يكونوا مقبولين. كما يظهر ابن ميمون في تفاعله مع صفات المرضى ما يمكن أن ندعوه اليوم بالوعي الثقافي البيني هذا غير احترامه لاستقلاليّة المريض.

قسم ابن ميمون:

قسم ابن ميمون هو وثيقة تتعلّق بمهنة الطب وكان يتلى كبديل عن قسم أبوقراط. لكن يجب أن لا نخلط بين القسم وصلاة ابن ميمون الأكثر طولاً منه. قد لا

يكون ابن ميمون هو من كتب هاتين الوثيقتين، بل كتبتا بعده. وقد ظهرت الصلاة مطبوعة للمرّة الأولى عام ١٧٩٣ وقد نسبت إلى ماركوز هرتس، وهو طبيب ألماني، من تلاميذ عمانوئيل كانط.

الأعمال الفلسفيّة واليهوديّة:

ألف أبن ميمون مجموعة من الأعمال تبحث في اليهوديّة، أو الشرع الربّاني، الفلسفة، وكذلك نصوص طبيّة. كتبت معظم أعمال ابن ميمون بالعربيّة اليهوديّة. لكن المشنيه توراه كتبت بالعبريّة. أعمال اليهوديّة هي:

تفسير المشنا (بيروش ها مشنايوت)، وقد كتب بالعربيّة اليهوديّة. كان هذا النص واحداً من أوائل التفاسير من تلك النوعيّة، وقد تم الاستشهاد بفصوله التقديميّة على نطاق واسع.

سفر هاميصوت (كتاب التفاسير).

سفر هائشاماد (رسالة الشهادة).

ميشنيه توراه، المعروف أيضاً باسم سفر ياد ها-حازكاه، وهو تصنيف شامل للشرع اليهودي؛ وهذا العمل هو الوحيد الذي كتبه ابن ميمون باللغة العبريّة؛ ولهذا العمل المكوّن من أربعة عشر مجلّداً وضعيّة قانونيّة-شرعيّة اليوم، كتصنيف مرجعي لقوانين التلمود.

دليل الحائرين، وهوعمل فلسفي يسعى إلى التوفيق بين فلسفة أرسطو واللاهوت اليهودي. كرسالة إلى اليمن، كتب هذا العمل باللغة العربيّة، الحرف العبراني. ترجمه إلى العبريّة، صموئيل بن طبّون.

تشبوت، وهو فتاوى تتناول مسائل مثل العالم الآخر وتبديل الدين.

إيغريت تيمن، أو رسالة إلى اليمن.

مقالة في سنة المنطق، وقد نشرت أيضاً باللاتينيّة (١٥٢٧)، الألمانيّة (١٨٠٥، ١٨٣٢٢، ١٨٢٨)، الفرنسيّة (١٩٣٥)، والإنكليزيّة (١٩٣٨). النص مكتوب بالعربيّة أصلاً، وتوجد نسخة مختصرة بالعبريّة.

رسالة اليمن:

رسالة اليمن هي واحدة من أهم أعمال ابن ميمون بالنسبة لنا، أي، أبناء المنطقة من غير أتباع الديانة اليهوديّة. وحين ننقل هذه الرسالة غير المطوّلة إلى الحرف العربي، فنحن بذلك نحاول إلقاء الضوء على أحداث تاريخيّة يبدو أنها تعيد إنتاج ذواتها، من منطلق، " التاريخ يعيد ذاته ". وفي اعتقادنا أن هذه الرسالة بحاجة إلى نوع من التكملة من قبل الباحثين في التاريخ اليمني كي يتوضّح لنا وضع اليمن في تلك الحقبة والصراع بين الأيوبيين السنّة والجماعات الشيعيّة، من إسماعيليين وزيديين، ودور اليهود في ذلك الصراع.

بالنسبة لرسالة اليمن، فالنص مكتوب أصلاً باللغة العربيّة، الحرف العبراني – كما هي عادة ابن ميمون – لكن الشواهد من التاناخ والتلمود ترد بلغتها الأصليّة، العبريّة. النص مقسّم إلى ثلاثة أقسام:

المقدّمة، وهي مكتوبة أصلاً بالعبريّة؛ النصّان المتوازيان اللذان يبدآن بجملة القائد الثائر وفرض الردّة. وهنا لا بد أن نلاحظ أن العمود الأيمن هو نص ابن ميمون الأصلي المكتوب بالعربيّة الحرف العبراني، والعمود الأيسر هو الترجمة العبرانيّة للنص. أخيراً، يمكن الإشارة إلى الأهميّة الفيلولوجيّة للنص، عبر التوقف عند شكل اللهجة المتداولة زمن ابن ميمون. دون أن ننسى هنا أن كتابة ابن ميمون لهذا النص بالعربيّة تعني مدى تجذّر هذه اللغة عند ابناء المنطقة، مهما اختلفت أديانهم ومعتقداتهم.



رسالة اليمن:

هذا نص رسالة ح. موسى بن ميمون، الربان والديان،

طيب الله ذكراه، رداً على رسالة من ح. يعقوب من اليمن

إلى الأستاذ والمعلم، العظيم والتقي، يعقوب، الحكيم، الذكي والكريم، العزيز والموقر، ابن الأستاذ والمعلم الموقر، العظيم والتقي، نتنئيل الفيومي، أمير اليمن المتميز، رئيس جماعتها، قائد مللها، الذي أرجو لروح الله أن يحل عليه، وعلى جميع زملائه، وعلى كافة علماء جماعات اليمن. أرجو لروح الرب أن يحفظهم ويحميهم. من صديق محب لم يره قط إنما يعرفه بالشهرة ليس إلا، موسى بن ميمون بن يوسف بن اسحق بن عوبديا طيب الله ذكراهم.

كما تشهد النباتات على وجود الجذور الحقيقية، وتبرهن المياه على امتياز النبع، كذلك تماماً برز برعم راسخ من جذور الحقيقة والصلاح، وتدفق نهر هائل من نبع الرحمة في أرض اليمن، لتسقى به كل الحدائق وليجعل الأزهار تتفتح. إنه يتدفق برقة ليشبع حاجات المرهقين والعطشانين في الأماكن المجدبة؛ ويلبي عابرو السبيل وسكان جزر البحر احتياجاتهم به. وهكذا فقد أعلن من إسبانيا إلى بابل، من أقصى السماء إلى أقصاها الآخر: «أيها العطاشى جميعاً، هلموا إلى المياه» (إش ٥٥:١).

يقول كل أصحاب الأعمال والعاملين في النقل إلى جميع من يسألهم إنهم وجدوا في أرض اليمن زرعاً جميلاً ومفرحاً، ومرعاً غنياً مع رعاة مخلصين حيث كل شاة عجفاء سوف تصبح سمينة. إنهم يقوون الفقراء بالخبز ويحيون الأغنياء بترحاب وكرم؛ بل تتطلع إلى كرمهم حتى القوافل

السبأية. أيديهم تمتد إلى كل عابر سبيل، وبيوتهم مفتوحة لكل مسافر. معهم يجد الجميع السكينة، ويهرب الحزن والتنهد. وباستمرار يدرسون شريعة موسى، يمشون في طريق الحاخام آشي، ينشدون العدالة، يصلحون الصدع، يدعمون مبادئ التوراه، يعيدون الضالين من شعب الله بالكلمات التشجيعية، يراعون الطقوس الدينية بدقة ضمن جماعاتهم؛ «لا ثلم ولا مهرب عندنا، ولا صراخ في ساحاتنا» (مز ١٤٤:١).

مبارك الرب الذي أخضع اليهود للمعاناة فلا يبقى إلا الذي يحفظ التوراه ويطيع أوامرها في أقصى مناطق شبه الجزيرة، كما أُكِّدَ لنا بكرم على لسان خادمه، إشعياء، لأنه كان يشير إليكم يا شعب اليمن حين تنبأ بقوله، «من أطراف البحر سمعنا تسابيح» (إش ٢٤:١٦).

حين تركنا الغرب كي ننظر لطافة الرب ونزور مكانه المقدس، علمنا أن أباكم غادر إلى راحته الأبدية. نرجو أن يحل الله عدالته وخيره عليك. ونرجو أن يدخل في السلام ويستريح على سريره. ونرجو أن يرسل إليه ملاك الرحمة. ونرجو أن يستريح ثم يقوم لثوابه في نهاية الأيام.

هذه هي العلامة، أيها الصديق المحبوب الغالي، التي تدل على أن الله كان مسروراً من مآثر والدك، وأنه سيعوض عليه أضعافاً، ويسبغ عليه السلام. لأنك، وأنت ابنه، نهضت مكانه كي تعزز الدين في اليمن والإلتزام به، كي تزيد العدل والصلاح، كي تطيع وصاياه وشرائعه، وكي تلتزم بعهده. وأرجو أن يكون الله ربك معك مثلما كان مع آبائك. وأرجو أن لا يهجرك ولا يتركك. وأرجو أن يعطيك فهماً شاملاً كي تحكم بين أبناء شعبه. وأرجو أن لا تترك كلماته فمك ولا فم نسلك أبداً بحسب ما هو

مكتوب (اش ٥٩:١٠). وأرجو أن تخلف والدك كقائد لشعبه، وأرجو أن يعطيك الله شهرةً أكبر من شهرته.

حين وصلت رسالتك إلى مصر، أيها الصديق المحبوب الغالي، شنفت آذاننا لسماعها تقرأ، وكان مجرد رؤيتها عيداً لأعيننا. فقد أظهرت أنك واحد من رعاة الرب المقيمين في هيلكه، والمعسكرين تحت علمه؛ وأنك تواصل دراسة التوراه، تحب شرائعها، وتسهر عند بواباتها. أرجو أن يفشي لك الرب أسرارها، يمونك بوفرة بمعرفة كنوزها، يجعل تاجها تاجك الرئيس، يجعل عقدها حول رقبتك، وأرجو أن تكون كلماتها مصباحاً لخطاك ونوراً لطريقك، وأرجو أن تنال الشهرة عبرها. «فترى جميع شعوب الأرض أن اسم الرب أطلق عليك فتخافك» (تث ٢٨:١٠).

تكتب في رسالتك، أيها الصديق الغالي، تقريراً مفاده أن بعضاً من أخوتنا في الدين في الشتات، الذين أرجو من الرب أن يحفظهم ويحميهم، يمدحونني ويرفعونني إلى درجات عالية للغاية ويقارنونني بالغوئنيم الشهيرين. لكنهم يتحدثون عني على هذا النحو بدافع الحب المجرد لي، ويكتبون عني بدافع الصلاح النقي. على أية حال، أعط إذناً صاغياً للكلمة التي تتناسب مع ما أقول، ولا تعر انتباهاً للأقوال الأخرى. والحق أني واحد من أكثر العلماء الذين من إسبانيا تواضعاً والذي تدنت مكانته في الشتات. ومع أني أدرس باستمرار أوامر الرب، إلا أني لم أحرز علم أسلافي، لأن الأيام السيئة والأوقات الصعبة أخذتنا؛ فنحن لم نقم في السكينة. كدحنا ولم نتعب. فكيف نستطيع أن ندرس الشريعة حين ننفى من مدينة إلى مدينة، ومن بلد إلى بلد. لقد لحقت الحصادين في دروبهم وجمعت أكواز الحبوب، الفاسدة والممتلئة على حد سواء، وكذلك الذاوية

والنحيلة. ومؤخراً فقط وجدت موطناً. ولولا معونة الله، لما غربلت المخزن الذي لدي والذي أسحب منه باستمرار.

ثم تكتب في رسالتك أن صديقنا وتلميذنا، ح. سليمان، وهو كاهن كبير، وباحث ذكي، يسرف في مدحي، ويبذر في تمجيدي. لكن الحق أقول، إنه انغمس في الغلو، بسبب حبه لي، وإنه افرط في كلامه بسبب مشاعره الطيبة تجاهي. أرجو أن يهديه الرب، وأرجو أن يكون مثل كرمة يانعة، وأرجو أن يعود إلينا سليماً ومعافى. أمّا بالنسبة للمسائل الأخرى التي طلبت الإجابة عليها، فأعتقد أنه من الأفضل أن أجيب باللسان واللغة العربيين. لأنه سيكون بمقدور الجميع عندئذ، نساءً وأولاداً، قراءتها بسهولة، لأنه من الضروري أن يفهم كل عضو في جماعتك جوهر ردنا بالكامل.

القائد الثائر وفرض الردة

تكتب أنّ القائد الثائر في اليمن أصدر قراراً بالردّة القسرية على اليهود وذلك بإجبار السكّان اليهود في كلّ المناطق التي أخضعها له على ترك الديانة اليهودية مثلما أجبرهم البربر على فعل ذلك في المغرب. والحقيقة أنّ هذه الأخبار كسرت ظهورنا وصعقت كلّ جماعتنا وشدهتها. وذلك حق. لأن هذه أخبار سيئة، «وكلّ من سمع به تطنّ أذناه» (١صم ١١:٣).والحقيقة أنّ قلوبنا متعبة، عقولنا مشوشة، وقوى جسدنا مبددة بسبب المصائب الرهيبة التي جلبت علينا الإضطهادات الدينية من طرفي العالم، الشرق والغرب، «فصار القوم في وسط إسرائيل، هؤلاء من هنا وأولئك من هناك «يش ٨:٢٢). وعند استعلام النبي عن مثل تلك الأوقات الصعبة والمريعة، صلى لصالحنا وتشفع، كما نقرأ، «فقلت، أيها السيد الرب، كف، فكيف يقوم يعقوب؟ إنه صغير» (عا ٧:٥). والحقيقة أن هذه موضوعة لم يجرؤ أي رجل متدين على التعامل معها بخفة، ولم يضعها جانباً أي رجل يؤمن بموسى. وما من شك أن هذه هي المخاضات المسيانية التي توسل الحاخامون لله كي يعفوا عن رؤيتها واختبارها. كذلك فقد ارتعش الأنبياء حين تصوروها كما تعلمنا كلمات إشعياء، «ضلّ قلبي، واعتراني الإرتعاش، فصار الشفق الذي أتوق إليه رعباً» (إش ٢١:٤). لاحظ أيضاً علامة التعجب في التوراه التي تعبر عن التعاطف مع الذين سيختبرونها، كما نقرأ «واهاً! من يكون حياً إذا صنع الله هذا!» (عد ٢٤:٢٣). أمّا ما ذكرته من أمر هذا القائم بأرض اليمن الذي أصدر حكماً بالإجبار على الردّة في إسرائيل ، وجبر كل المواضع التي قدر عليها على الخروج عن الدين، كالذي فعل الكنعني في بلاد المغرب، فلقد قطع هذا الخبر ظهورنا، وأبهت وأدهش جملة

جموعنا، وحق لنا. وهذا خبر سوء «وكل من سمع به تطنّ أذناه» (١ صم ٣:١١). ولقد ضعفت قلوبنا وتشوشت أفكارنا وانوهنت قوانا لهذه الضيقة العظيمة الذي بدانا الإجبار على الردة في طرفي العالم، الشرق والغرب، «فصار القوم في وسط إسرائيل، هؤلاء من هنا وأولئك من هناك» (يش ٨:٢٢). وعن مثل هذا الوقت المهول، قال النبي متشفعاً فينا، داعياً لنا، «وقلت أيها السيد الرب، كفّ، فكيف يقوم يعقوب؟ إنه صغير» (عا ٧:٥). وهذا أمر لا يستصغره ذو دين، ولا يطرحه من حصل له بموسى تعيين. ولا شك أن هذه آلام مخاض المشيح، التي كانوا الحخميم، طيب الله ثراهم، يستعيذون الله من رؤيتها ومباشرتها، والأنبياء يرتعدون من تخيلها، كما قال إشعياء حين وصفهم: «ضلّ قلبي، واعتراني الإرتعاش، فصار الشفق الذي أتوق إليه رعباً» (إش ٢١:٤). ونادى الله في كتابه بالويل لمن شاهدها وقال: «واهاً! من يكون حياً إذا صنع الله هذا!» (عد ٢٤:٢٣).

الشك:

تكتب أن أفئدة بعض الشعب مالت، فالشك يواجههم وقناعاتهم ضعيفة، في حين لم يفقد آخرون إيمانهم ولم يقلقوا. لدينا إعلان إلهي بشأن هذه المسألة عبر دانيال الذي تنبأ بأن إقامة إسرائيل الطويلة في الشتات والإضطهادات المتواصلة سوف تؤديان إلى إبعاد كثيرين عن إيماننا، وأن تأخذهم الشكوك، أو أن يضلوا، لأنهم شاهدوا ضعفنا، ولاحظوا انتصار أعدائنا وسيطرتهم علينا، في حين لن يتأرجح آخرون في اعتقادهم ولن تهتز قناعاتهم. وهذا يمكن استنتاجه من الآية، «إن كثيرين ينتقون ويتبيضون ويمحصون،

والأشرار يرتكبون الشر، ولا أحد من الاشرار يفهم، أما العقلاء فيفهمون» (دا ١٢:٤). ثم يتنبأ بعد ذلك أنه سيخضع للشك ويخطأ حتى الرجال العقلاء والأذكاء الذين يتحملون المصائب المعتدلة ويظلون راسخين في اعتقادهم بالله وبعبده موسى، وذلك حين تحل بهم آلام أقسى وأقوى، بينما لا تظل سوى قلة قليلة نقية الإيمان كما نقرأ، «فيعثر بعض العقلاء» (دا ١١:٣٥).

والآن، يا أخوتي في الدين، عليكم أن تنتبهوا إلى ما سأشير لكم إليه وتأخذوه بعين الاعتبار. يجب أن تطبعوه في اذهان نسائكم وأولادكم، كي يتقوى إيمانهم الذي يُضعف ويُفسد، ويعاد ترسيخهم في اعتقاد غير متقطع. نرجو أن يخلصنا الرب وإياكم من الشك الديني. وأما ما ذكرته من كون بعض القوم مالت قلوبهم وحدث لهم الشك واختبطت اعتقاداتهم، وبعض الناس ما زال يقينهم ولا اضطربوا، فهذا أمر قد سبق الإنذار به، وبين لنا السيد دانيال بما أعلمه الله أنّ إذا طال مقامنا في الشتات وتوالت الشدائد علينا، يمرق كثيرين من الدين ويتشككوا ويضلوا. وذلك لما يشاهدونه من ضعفنا وغلبة مقاومينا واقتدارهم علينا، وأن البعض لا يشكوا ولا يختل اعتقادهم. قال: «إن كثيرين ينتقون ويتبيضون ويمحصون، والأشرار يرتكبون الشر، ولا أحد من الاشرار يفهم، أما العقلاء فيفهمون» (دا ١٢:٤). ثم بين أن ولو الفهماء العقلاء الذين تمر بهم الشدائد فيثبتوا لها، ويبقون على إيمانهم بالله وبموسى عبده، ستمر عليهم أمور أشد وأصعب من تلك الذي ثبتوا لها حتى يتوهم بعضهم ويضل، ولا يصفوا إلا القليل. وهو قوله «فيعثر بعض العقلاء» (دا ١١:٣٥).

والآن يا أخوتنا ينبغي لكم أجمعين أن تنصتوا وتتأملوا ما أورده لكم، وتلقنوه للأصاغير والنساء، كي يثبت لهم ما ضعف من الاعتقاد واختل، ويتمكن في أنفسهم اليقين الذي لا يزول. وذاك خلصنا الله وخلصكم.

كلمات مقوية:

تذكروا أن ديانتنا هي ديانة الحق والموثوقة بأنها إلهية، التي اوحيت لنا عبر موسى، سيد كل الأنبياء السابقين منهم واللاحقين، والتي ميزنا الله بها عن باقي الجنس البشري، كما يقول الكتاب المقدس، «لكنه [الله] تعلّق بآبائك [وحدهم] محباً إياهم واختار نسلهم من بعدهم، أي أنتم، من بين الشعوب كلها» (تث ١٠:١٥). وهذا لم يحصل بسبب ميزاتنا، بل كعمل للنعمة الإلهية، وبسبب آبائنا الذين كانوا يعرفون الله ويخضعون له كما نقرأ، واختاركم، فأنتم أقل عدداً من جميع الشعوب... بل لمحبة الرب لكم ومحافظة على القسم الذي أقسم به لآبائكم» (تث ٧: ٧ ٨). لقد جعلنا الله فريدين عبر شرائعه ووصاياه، وبروزنا يظهر في أحكامه وقوانينه، كما يقول الكتاب المقدس، في حديثه عن رحمات الله لنا، «وأية أمة عظيمة لها فرائض وأحكام بارة ككل هذه الشريعة التي أضعها اليوم أمامكم» (تث ٤:٨).

إن هو دين الحق الصحيح المنزل على يد السيد جميع النبيين، المتقدمين والمتأخرين، الذي ميزنا الله به على جميع العالمين لقوله «لكنه تعلق بآبائك محباً إياهم واختار نسلهم من بعدهم، أي أنتم، من بين الشعوب كلها» (تث ١٠:١٥). وما كان ذاك باستحقاق لنا، بل أنعم علينا بما تقدم لآبائنا من معرفة وطاعة كقوله، «لا لأنكم أكثر من جميع الشعوب تعلق الرب

بحبكم» (تث ٧:٧). ولما خصصنا بشرائعه ومرسوماته، وبانت فضيلتنا على الغير بقوانينه وموضوعاته، كقوله، «وأية أمة عظيمة لها فرائض وأحكام بارة» (تث ٤:٨).

أنواع العداء لإسرائيل:

لذلك فالحسد أثار كل الأمم والعقوق ظهر ضدنا، وبدافع من الجور والعداوة أخذ جميع ملوك الأرض على عاتقهم مهمة اضطهادنا. لقد أرادوا مقاومة الله، لكن الله لا يمكن أن يقاوم. ومنذ أيام الوحي، جعل كل من وصل إلى السلطة، بالعنف أم بالخسة، هدفه الأول وغرضه الأخير القضاء على شريعتنا وإبطال ديانتنا، إن بالسيف أو بالعنف أو بالقوة البهيمية، مثل عمليق، سيسرا، نبوخذنصر، طيطس، أدريانوس، الذين أرجو أن تسحق عظامهم، والآخرين الذين على شاكلتهم وهؤلاء هم أحد النوعين الذين حاولا إحباط الإرادة الإلهية.

ناصبتنا الملل كلها عليه حسداً وطغياناً وتجردت ملوك الأرض لطلبنا من أجله ظلماً وعدواناً يريدون معاندة الله وما يعاند. فما من زمان من حينئذ إلا وكل ملك جبار أو عنيد، أول ما يجعل غرضه وأوكد أوامره نقض شريعتنا وفسخ ديننا، بالقهر والغلبة بالسيف، مثل عملق وسيسرا وسنحريب ونبوخذ نصر وطيطس وأدرينوس وغيرهم من أمثالهم. هذا هو النوع الواحد من النوعين الذين يرومون غلبة الإرادة الإلهية.

أما النوع الثاني فيتكون من الأكثر تعلماً وذكاءً بين الأمم، مثل السوريين، الفرس واليونانيين. وهؤلاء يحاولون أيضاً إزالة شرعنا وإبطاله عن طريق الحجج التي يلفقونها، وعن طريق المجادلات

التي يضعونها. فهم يحاولون إبطال فعالية شرعنا ومحو كل أثر له عن طريق كتاباتهم الجدلية، تماماً كما يخطط الطغاة لفعل ذلك بالسيف. لكن لن ينجح هذا الطرف ولا ذاك. فنحن لدينا التأكيد الإلهي المعطى لإشعياء المتعلق بكل المستبدين الراغبين بدك أسس شرعنا للقضاء عليه بأسلحة الحرب، والذي يقول إن الرب سوف يقضي عليهم فلا يكون لهم أدنى تأثير. كذلك فكلما يحاول أحد المجادلين البرهان على زيف شرعنا، سوف يحطم الرب براهينه ويثبت عجزها عن الدفاع ولا معقولية جدبها. والوعد الإلهي متضمن في الآية التالية، «كل سلاح صنع عليك لا ينجح، وكل لسان يقوم عليك في القضاء، تردينه مجرماً» (اش ٥٤:١٧).

ومع أن أنصار الطريقتين على حد سواء يقنعون انفسهم بأنه يمكن إزالة هذا البنيان، ويجهدون ذواتهم لدك أسسه القائمة برسوخ، فهم إنما يزيدون ألمهم وكدهم ليس إلا. فالبنيان سيظل ثابتاً مثلما غرس وإلى الأبد، بينما يسخر منهم إله الحق ويهزأ، لأنهم يحاولون، بعقلهم الضعيف، إحراز هدف يفوق قوى الإنسان الفاني. ويصف الكاتب الموحى له محاولتهم وسخرية الله منهم في الآيات التالية، «لنكسر قيودهما ولنلق عنا نيرهما. الساكن في السموات يضحك، والسيد بهم يهزأ» (مز ٢: ٣ - ٤). لقد أرهقنا الحزبان جميعاً وأوجعانا دائماً طيلة حقبة استقلالنا السياسي، وعلى نحو جزئي خلال حقبة تشتتنا. وأما النوع الثاني فهو حذّاق الملل وعلمائهم مثل السريان والفرس واليونان. فإن هؤلاء أيضاً يرومون نقض الشريعة وفسخها بحجج يوهمون بها ومجادلات يؤلفونها، ويرومون من فسخ الشريعة ومحو آثارها

بتواليفهم مثل ما يرومه المتغلبين بسيوفهم ولا هذا يصلح ولا ذاك يصلح، لأن ضمان الله تبارك وتعالى على يد إشعياء قد تقدم لنا بأن كل متغلب يوم غلب شريعتنا وإبطالها بآلته الحربية، سوف يفسد الله تلك الآلة فلا تنجح. وهذا على جهة المثل أن رومه لا يحصل دائماً. وكذلك كل محاجج يروم إبطال ما بأيدينا، يجهض الله حجته ويبطلها ويدفعها ولا تدوم كما قال تبارك وتعالى واعداً، «كل سلاح صنع عليك لا ينجح، وكل لسان يقوم عليك في القضاء، تردينه مجرماً» (إش ٤٥:١٧). وكلاهما يظنان أن هذا بنيان يمكن أن يتهدم، ويتوامران قلع قواعده الراسخة إلى الماء، فما يزيدون أنفسهم إلا شقاءاً وتعباً. والبنيان على ما هو شديد يقين. والحق يهزؤ بهم ويضحك منهم، لرومهم بضعف عقلهم ما لا يروم إنسان مثله. قال النبي واصف رومهم وهزؤ الحق بهم: «لنكسر قيودهما ولنلق عنا نيرهما. السكان في السموات يضحك، والسيد بهم يهزأ» (مز ٢: ٣ - ٤). فلم نزل مبليين ممتحنين من هذين الفريقين طول أيام دولتنا وبعض أيام شتاتنا.

الجدل ضد المسيحية

بعد ذلك ظهرت طائفة جديدة جمعت الطريقتين، أي، الغزو والجدل، في طريقة واحدة، كونها اعتقدت أن هذا الإجراء سيكون اكثر فعالية في مسح كل أثر لأمتنا وديانتنا اليهوديتين. لذلك وضعت في تصميمها ادعاء النبوة وتأسيس ديانة جديدة، تعاكس ديانتنا الإلهية، والتأكيد على أنها معطاة هي أيضاً من الله. وبذلك كانت تأمل في إلقاء الشكوك وخلق التشويش، فكون إحداهما تعارض الأخرى والإثنتان تنبثقان فرضاً من مصدر إلهي، فهذا سيقود إلى تدمير الديانتين على حد سواء. وخطة ملحوظة كهذه كانت قد اخترعت

على يد حسود ونكد. إنه يجاهد لقتل عدوه وإنقاذ حياته، لكن حين يجد أنه يستحيل عليه الوصول إلى هدفه، فسوف يستنبط مشروعاً يقتل به الإثنان.

ثم حدث فريق آخر، ركّب حالة من الحالتين جميعاً، أعني الغلبة والمحاججة والمناظرة. ورأى أن هذا أبلغ في قطع أثر الملة، فدبّر أن يدعي النبوة، ويأتي بشريعة خلاف شريعة الله ويقول إنها من الله كقول الصادق، فيحدث الشك، ويوقع الحيرة، فإن هذه تخالف هذه، وهما جميعاً تنتسبان لإله واحد. فيكون ذلك مدخل لتلاف هذه وتلك. وهذا من التحييل العجيب يفعله الشخص الشديد النكاية، إنه يروم قتل عدوه وبقاءه هو. فإذا أعياه ذلك دبّر في حالة تقتله وتقتل عدوه.

يسوع المسيح

كان يسوع الناصري، الذي أرجو أن تسحق عظامه، أول من تبنى هذه الخطة. كان يهودياً لأن أمه كانت يهودية، مع أن أباه كان من الأمم. لأنه بحسب مبادئ شريعتنا، فإن الطفل المولود من يهودية وأحد أبناء الأمم، أو من يهودية وأحد العبيد، هو شرعي (يبموت ٤٥ آ). وعلى نحو رمزي فقط دعي يسوع ابن حرام. لقد دفع بالشعب إلى الاعتقاد أنه كان نبياً مرسلاً من الله لإيضاح الإلتباسات في التوراه، وأنه كان المشيح الذي تنبأ به كل المتنبئين. وراح يفسر التوراه ووصاياها بطريقة تقود إلى إلغائها بالكامل، وإلى إبطال كل أوامرها وانتهاك محرماتها. أما الحاخامون، طيب الله ذكراهم، وقد أدركوا خططه قبل انطلاق شهرته بين الشعب، كان دانيال قد لمح إليه حين أنذر

بسقوط أحد الأشرار من بين هراطقة اليهود والذي سيحاول القضاء على الشريعة، مطالباً لذاته بالنبوة، زاعماً أنه يقوم بالمعجزات، ومدعياً أنه المشيح، كما هو مكتوب، «وينهض بنو عتاة شعبك لإتمام الرؤيا فيعثرون» (دا ١١:١٤). فخصّوه بما يليق به من العقاب.

فأول من عمد على هذا الرأي يشوع هانصري المسحوقة عظامه وهو من إسرائيل، وإنه وإن كان أبوه غوي وأمه يسرائليت فهو إسرائيلي، لأن الأصل عندنا «الغوي والعبد يعطيان من بنت إسرائيلية طفلاً شرعياً» (يبموت ٤٥ آ). وإنما نسميه ابن حرام على جهة المعاملة. فأوهم انه مبعوث من الله ليبين مشكلات التوراه، وإنه المشيح الموعود به على يد كل نبي. فتأول التوراه تأويلاً يؤدي إلى إبطال جملة الشريعة، وتعطيل جميع أوامرها وارتكاب جميع مناهيها على ما قصد وغرض. فشعر الحخميم، طيب الله ذكراهم، لغرضه قبل أن تتمكن شهرته في الملة، ففعلوا به ما كان أهلاً له. وقد كان تقدم الإنذار بذلك على يد دانيال، وقال إنه سيروم من وقحاء إسرائيل وخوارجهم إفساد الدين بادعاءه النبوة وتعاطيه الأمور العظيمة، يعني أنه مشيح، وأن الله يعثره كما عثر. وهو قوله، «وينهض بنو عتاة شعبك لإتمام الرؤيا فيعثرون» (دا ١١:١٤).

ديانة بولس

بعد بعض الوقت، ظهرت ديانة يعزو آثارها أبناء عيسو له، مع أن هذا الشخص لم ينو تأسيس ديانة جديدة. وهو لم يكن مؤذياً لإسرائيل إذ لم يضطرب فرد ولا جماعة في اعتقاداتهم بسببه، لأن تناقضاته كانت مرئية للجميع. وغلب أخيراً ووضعنا نهاية له حين

وقع بين أيدينا، ومصيره معروف جيداً. ومن بعده بمدة طويلة اشتهر دين ينسب إليه من بني عيسو. ومع ذلك كان ـ الذي كان يؤمل، مما ذلك ضار إسرائيل، ولا شكو لاجمع ولا فراد، إذ بان لهم خسره وغلبته وانقطاعه في أيدينا، إلى أن تم عليه ما تم.

الإسلام ونبيه

بعده ظهر مجنون نافس سلفه كونه مهد له الطريق. لكنّه أضاف غرضاً آخر تجلى في الحكم والتسليم له، ولفّق ديانته المعروفة جيداً. كان في نية هؤلاء الرجال أن يضعوا تعاليمهم في مستوى ديانتنا الإلهية. لكن وحده المغفل الذي يفتقد المعرفة بالطرفين يمكن أن يشبه الأعراف الإلهية بالعادات البشرية. ثم قام بعده مجنون يحذو حذوه إذ فتح له الطريق، وزاد مع ذلك غرض آخر، وهو طلب الملك والطاعة له، فأحدث ما شهر. يريدون كلهم التشبيه بدين الله سبحانه، ولا تتشبه الصناعة الإلهية بالصناعة البشرية إلا على غر لا مخبرة له بكلاهما.

فرادة اليهودية

تختلف ديانتنا عن الديانات الأخرى التي يُزعم أنها تشبهها بقدر ما لا يشبه رجل حي موهوب ملكة العقل تمثالاً محفوراً للأبد من المرمر، الخشب، البرونز أو الفضة. وعندما يرى شخص جاهل بالحكمة الإلهية أو بأعمال الله التمثال الذي يشبه الإنسان سطيحاً في خطوطه الخارجية، شكله، ملامحه ولونه، يعتقد أن بنيان أجزاء التمثال يشبه كيان الإنسان، لأنه ضعيف العقل في فهم ما يتعلق بالنظام الداخلي للإثنين. لكنه الشخص العارف، الذي يعلم داخل الإثنين، يعي حقيقة أن البنيان الداخلي للتمثال لا ينم عن صنعة ماهرة البتة، في حين أن

الأجزاء الداخلية للإنسان مصنوعة على نحو عجائبي فعلاً، وهي تشهد بحكمة الخالق، مثل انتشار الأعصاب في العضلات وتشعباتها، تفرع الأوتار وتقاطعاتها وشبكة اربطتها وطريقتها في النمو، تمفصل العظام وروابطها، الأوعية الدموية الخفاقة وغير الخفاقة وتفرعاتها، وجود الأعضاء الواحد ضمن الآخر، الأجزاء المغطاة وغير المغطاة، فكل واحد من هؤلاء له حصته، شكله، ومكانه المناسب.

وما الفرق بين ديننا والأديان التي شبهت به إلا كالفرق بين الإنسان الحي الناطق، والتمثال الذي تحكم صناعته من الرخام أو الخشب أو الفضة أو الذهب حتى يصير شبه إنسان. فإن الجاهل بالحكمة الربانية والصناعة الإلهية إذا رأى التمثال شبه بالإنسان في جميع سطحه الظاهر في شكله وتخطيطه ومقداره ولونه، ظن أن صناعة هذا مثل صناعة شكل الإنسان، سوى لجهل بباطن هذا وهذا. أما الحكيم الذي يعرف باطنهما فيعرف أن باطن هذا التمثال لا إحكام صناعة فيه أصلاً، وأن باطن الإنسان فيه العجائب على الحقيقة، والأمور الدالة على حكمة الخالق، في امتداد أعصابه في عضله وتشعبها، وتحييز أوتاره، ومواضع اتصالها، والتفاف رباطاتها، وكيف نشوئها، وتركيب عظامه ومفاصلها، وخروج عروقه الضوارب وغير الضوارب وتقسمها، ووضع أعضائها بعضها مع بعض ظاهرها وباطنها، كل شيء من ذلك بمقداره وهيئته، وفي موضع وباستحقاقه.

كذلك فإنّ الشخص الذي يجهل المعنى السراني للكتاب المقدّس والاهمية الاعمق للشريعة، سوف يُقاد إلى الإعتقاد بأنّ ديانتنا تشترك بشيْ ما مع ديانة أخرى إذا أجرى مقارنة بين الإثنتين . فهو

سيلاحظ أنّ في التوراه محظورات ووصايا، تماماً كما توجد في الديانات الأخرى أفعال مباحة ومحرمة. فالإثنتان تتضمنان منظومة شعائر دينية، وصايا إيجابية وسلبية، مكرّسة عبر الثواب والعقاب.

كذلك الجاهل بسرائر كتب الوحي وبواطن شريعتنا إذا قارن هذه الشريعة المستعملة، يظن الشبه بينهما، إذ يجد في شريعة الله محرمات ومحللات، وفي هذه الأخرى محرمات ومحللات؛ وفي شريعة الله أعمال عبادات وفي هذه أعمال عبادات؛ وشريعة الله تأمر وتنهي وتعد وتتوعد وكذلك هذه تأمر وتنهي وتعد وتتوعد.

ولو كان باستطاعته أن يسبر فقط غور القصد الداخلي للشريعة، لكان سيدرك أن جوهر الديانة الإلهية الحقيقة يكمن في المعنى الأعمق لوصاياها الإيجابية والسلبية، فكل واحدة منها ستساعد الإنسان في كفاحه نحو الكمال، وتزيل كل عائق من طريق الوصول إلى الامتياز. وهذه الوصايا ستمكن العامة والخاصة من إحراز صفات أخلاقية وفكرية، كلّ بحسب مقدرته. وهكذا تصبح الجماعة التقية مبرزة، وتصل إلى كمال ثنائي الوجه. ما أعنيه بالكمال الأول هو أن يمضي الإنسان حياته في هذا العالم في ظل أفضل الشروط وأكثرها ملاءمة. أما الكمال الثاني فهو يشكل إحراز الأهداف الفكرية، كل بحسب قواه الفطرية.

لا تمتلك عقائد الأديان الأخرى التي تشبه عقائد الكتاب المقدس معنىً عميقاً، بل هي تقليد سطحي، وهي منسوخة عنها ومصنوعة على منوالها. فقد شكلوا دياناتهم وفق أنموذج ديانتنا كي يمجدوا أنفسهم، وحلّقوا في خيال فحواه أنهم يشبهون هذا أو ذاك.

مع ذلك فتزييفهم سر مفتوح أمام المتعلمين. وهكذا فقد صاروا أهدافاً للسخرية والهزء تماماً كما يضحك المرء ويبتسم من قرد حين يقلد أفعال الإنسان. ولو فهم الباطنين لعلم أن الشريعة الإلهية الحاقة الحكمة كلها في باطنها، وأن ليس منها أمر ولا نهي إلا وفي باطنها أمور تغلب منفعة في الكمال الإنساني، وتبعد مضرة تعوق على ذلك الكمال، وتحصل فضائل خلقية ونطقية للجمهور بقدر احتمالهم وللخواص بقدر إدراكهم. وبها يكون الجمع الإلهي فاضل وحاصل على الكمالين جميعاً: أعني الكمال الأول الذي هو استمرار بقاءه في العالم على أحسن الحالات المشاكلة للإنسان والكمال الثاني وهو إدراك المعقولات على ما هي عليه بحسب طاقة الإنسان. وأن تلك الشرائع المشبهة أمور لا باطن لها، إلا مما كانت تشبه وتمثل، قصد به المشبه تعظيم نفسه، والإيهام بأنه مثل فلان وفلان. فبانت فضيحته عند المدركين وصار مضحكة ومسخرة كما يضحك ويسخر من القرد إذا حاكى أفعال الناس.

النبوءات حول مملكة العرب

لقد تم التنبؤ بهذا الحدث في إحدى نبوءات دانيال الموحاة من الله، والتي تقول، أنه سيظهر في احد الأزمنة المستقبلية شخص بديانة جديدة تشبه الديانة الحقيقية، وكتاب يحتوي نصوصاً مقدساً ورسائل شفهية، وسوف يدعي بعجرفة أن الله أعطاه وحياً منزلاً، وأنه يحادثه، وغير ذلك من مزاعم أخرى مبالغ بها. وهكذا فإنّ دانيال، في وصفه لظهور المملكة العربية بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، لمح إلى ظهور المجنون وانتصاراته على الإمبراطوريات الرومانية، البيزنطية والفارسية، وذلك في الرؤيا المتعلقة بالقرن

الذي يطلع، يستطيل ويقوى. وهذا مشار إليه بوضوح في آية يمكن للعامة فهمها وكذلك للقلة المختارة. وبما أنّ حقائق التاريخ تدعم هذا التفسير، لا يمكن إعطاء معنىً آخر لآية التالية: «وكنت أتأمل القرون، فإذا بقرن آخر صغير قد طلع بينها، وقُلِعت ثلاثة من القرون السابقة من أمامه، وإذا بعيون من هذا القرن كعيون إنسان وفم ينطق بعظائم» (دا ٧:٨).

لاحظ الآن كم تبدو الرمزية مناسبة على نحو بادىءٍ للعيان. فدانيال يقول إنه رأى قرناً يطلع. وحين ازداد طوله، وصار طويلاً على نحو عجائبي، قلع ثلاثة قرون أمامه وإذا بوجود عينين كعيني الإنسان كانتا على جانبي القرن، وفم يتحدث بكلمات خليعة. وهذا يشير بوضوح إلى الشخص الذي كان سيؤسس ديانة جديدة مشابهة للشريعة الإلهية، ويزعم أنه يتلقى وحياً بكتاب مقدس، ويدعي النبوة. ثم يحاول تبديل الشريعة وإلغائها، كما يقال: «وينوي أن يغير الأزمنة والشريعة» (دا ٧:٢٥).

وقد تقدم لنا الإنذار من الله تعالى على يدي دانيال بأن ذلك سيكون، وأن في آخر الأمر يقوم قائم يأتي بدين يشبه الدين الحق، ويأتي بكتاب وخطاب، ويتكلم بعظائم، يعني أنه نزل عليه كتاب وأنه قال الله له، وقال هو لله، وغير ذلك من كثرة كلامه. قال [دانيال] عندما وصف قيام ملك العرب في آخر ملك الروم، وشبه قيام المجنون، وكونه يغلب ملك الروم وملك الفرس وملك اليونان، بقرن نما وطال وعظم، على ما تبين من ذلك النص للعام والخاص، لأنها معاً أظهرها الوجود، لا تحتمل تأويل آخر، قال: «وكنت أتأمل القرون، فإذا بقرن آخر صغير قد

طلع بينها، وقُلِعت ثلاثة من القرون السابقة من أمامه، وإذا بعيون من هذا القرن كعيون إنسان وفم ينطق بعظائم» (دا ٧:٨). فتأمل حكمة هذا المثل وغرابته. قال إنه رأى القرن الصغير الناصية لما طالت وأوقعت ثلاث قرون من أمامها، هو مستغرب العظم طولها، فإذا بالقرن له عيون شبيه عيني الإنسان، وفم يتحدث بعظائم. يعني أنه يأتي بدين يشبه الدين الإلهي، ويدعي الوحي والنبوة، ويكثر الكلام. وبين لنا دانيال أنه يدعي نسخ هذه الشريعة ويروم تغييرها. قال: «وينوي أن يغير الأزمنة والشريعة» (دا ٧:٢٥).

نبوءة حول مصير الأعداء

لقد أخبر الله دانيال أنه سيقضي على هذا الشخص رغم عظمته وبقائه زمناً طويلاً مع من تبقى من اسلافه. وفي النهاية سوف تفنى الأطراف الثلاثة التي حاربتنا، أي، الطرف الذي نشد إخضاعنا بالسيف، الطرف الذي جاهد لغزونا بالحجج، إضافة إلى الطرف الثالث الذي أسس ديانة شبيهة بديانتنا.

ورغم أنهم سيظهرون منتصرين لفترة ما، ويهيمنون لحقبة من الزمن تطول أو تقصر، فسوف لن يبقوا أو يستمروا. ولدينا تأكيد إلهي منذ زمن سحيق بأنه كلما ظهر حكم ردة بحقنا، سوف ينهيه الله أخيراً. فحين فكر الملك داود الذي يتحدث باسم الملة بإلهام من الروح القدس، بالعدد الكبير من الشعوب التي حكمت إسرائيل في الماضي، وبالعدد الكبير من التجارب والمحن التي اجتازوها منذ بداية تاريخهم، ورغم هذا لم يفنوا، أُثيرت مشاعره فهتف، «كثيراً ما ضايقوني منذ حداثتي، ولم يقدروا علي» (مز ١٢٥:٢).

وبين له تعالى أنه جل اسمه أنه سيبيده بعد عظمته وشدة طوله مع كل من بقي ممن تقدمه، وأن هؤلاء المناصبين ثلاثتهم، أعني الفرقة القاهرة بالسيف، والفرقة المدعية بالحجج، والفرقة المتشبهة بالدين، كلهم يتلفون وإن ظهرت لهم نصره في زمان من الأزمنة وغلبوا في وقت ما طويل قصير، فإن ذلك لا يدوم ولا يبقى. وهكذا عهدنا من الله أبداً، ما من زمان إلا ويطرأ فيه اضطهاد ديني ويحدث فيه سخط. ثم يزيله الله. قال داود ملك إسرائيل بإيحاء من الروح القدس على لسان الأمة، يصف تسلط الملل عليها في أولية حالها، وإنهم مع ذلك ليقدرون على إبادتها مع عظم ما يبتلونها به من قسر على الردة والأخطار، قال، «كثيراً ما ضايقوني منذ حداثتي، ولم يقدروا علي» (مز ١٢٥:٢).

تعلمون جميعاً، يا أخوتي، أن اليهود في زمن نبوخذ نصر الشرير، أُجبروا على عبادة الأوثان ولم يستثن أحد غير حنانيا، ميشائيل وعزارياه. وفي النهاية قضى الله على نبوخذ نصر، ووضع حداً لشرائعه، وعادت ديانة الحق إلى ما كانت عليه. وأنتم يا أخوتي، تعلموا أن في زمان نبوخد نصر الشرير، جبر الناس كلهم على عبادة الأوثان، ولم يتخلص من الحاضرين غير حنانيا، ميشائيل، وعزريا. ثم أباده الله تعالى وأباد ناموسه، ورجع الحق لما كان.

كذلك، فحين سيطر الحكام اليونانيون أثناء الحكومة الثانية في فلسطين، شرعوا لاضطهادات قاسية ضد إسرائيل كي يلغوا التوراه، فأُجبر اليهود على انتهاك حرمة السبت، وحظر عليهم الإلتزام بشعيرة الختان. وأُجبر كل يهودي أن يكتب على ثوبه كلمات،

«ليس لدينا قسمة في الرب إله إسرائيل، وأن يحفر هذه الجملة أيضاً على قرني ثوره ثم يحرث به». واستمرت هذه الحال نحواً من إثنتين وخمسين سنة. وأخيراً، وضع الله حداً لإمبراطوريتهم وشرائعهم في آن. وكذلك في بيت شني [الحكومة الثانية]، عند غلبة الحكومة اليونانية الشريرة شرعوا إجبارات على الردة عظيمة شديدة على إسرائيل، كي يتلفوا الشريعة بزعمهم. وألزموهم بتدنيس السبت، وأن لا يختنوا لهم ولد، وأن يكتب كل شخص على ثوبه، «ليس لدينا قسمة في الرب إله إسرائيل»، وأن ينقش على قرن ثوره كذلك. وحينئذ يحرث فيه. ودام ذلك نحو الإثنين والخمسين سنة، ثم أباد الله ملكهم وناموسهم معاً.

كثيراً ما يشير الحاخامون، طيب الله ذكراهم، إلى الاضطهادات بالطريقة التالية: «ذات مرة مررت الحكومة الشريرة قرار الإضطهاد التالي»، أو، «أصدروا قرارات كذا وكذا». وبعد فترة كان الله سيجعل القرار باطلاً وخاوياً عبر القضاء على السلطة التي أصدرته. وهذه الملاحظة هي التي قادت الحاخامين، طيب الله ذكراهم، إلى التأكيد بأن الاضطهادات لا تدوم إلا لفترة قصيرة (كتوبوت ٣ب).

وفي كل زمان يقولون الحاخامون، طيب الله ذكراهم، «ذات مرة مررت الحكومة على إسرائيل قرار الإضطهاد كذا وكذا، أو أصدروا هذا القرار أو ذاك». ثم يبطله الله ويزيله بزوال الذي أحدثه، وهكذا قالوا عليهم السلام «لا يدوم الإضطهاد إلا لوقت قصير» (كتوبوت ٣ب).

لقد أُعطي أبونا يعقوب التأكيد الإلهي، بأن نسله سوف

يبقى بعد الشعب الذي أحطّ من قيمته وأخزاه، كما هو مكتوب: «ويكون نسلك كتراب الأرض» (تك ١٤:٢٨). هذا يعني أنه رغم أن نسله سيحقر كالغبار الذي يداس تحت القدم، فسوف يقوم في نهاية الأمر ظافراً ومنتصراً، وبحسب مضمون التشبيه البلاغي، فكما يستقر الغبار في نهاية الأمر على من يطأه، ويظل بعده، كذلك تماماً سوف تعمر إسرائيل أكثر من مضطهديها. وقد وعد الله تعالى أبانا يعقوب أن نسله، ولو أذلتهم الملل وغلبتهم، فإنهم الباقين بعدهم، الدائمين دونهم. قال تعالى، «ويكون نسلك كتراب الأرض» (تك ١٤:٢٨). يعني أنهم مع كونهم ذليلين كالتراب، مدرسة للكل، سوف يغلبون ويظفرون. وأيضاً على جهلة المثل، فإن التراب بآخره يعلو دارسه ويبقى دونه.

لقد تنبأ النبي إشعياء منذ زمن طويل بأن شعوباً عديدة ستتعاقب على قهر إسرائيل والهيمنة عليها لبضع من الوقت. لكن الآية التالية توحي بأن الله سوف يأتي لمساعدة إسرائيل ويضع حداً لآلامها وأحزانها: «كُشفت لي رؤيا قاسية: الخائن يخون والمدمر يدمر. إصعدي يا عيلام، حاصري يا ميديا. إني سكّنت كلّ نواح منها» (إش ٢:٢١). وقد بين إشعياء عليه السلام وأخبرنا عن الله أن هذه الملة في زمن الشتات، كل من رام فيها روم الغلبة والقهر صح له ذلك وأمكنه، ثم بآخره ينصرها الله ويزيل تألمها وتوجعها. قال: «كُشفت لي رؤيا قاسية: الخائن يخون والمدمر يدمر. إصعدي يا عيلام، حاصري يا ميديا. إني سكّنت كلّ نواح منها» (إش ٢:٢١).

بشارات وإنذارات

لدينا التأكيد الإلهي بأن إسرائيل غير قابلة للدمار ولا للفناء، وسوف تواصل بقاءها كملة مبرزة. وكما يستحيل توقف الله عن الوجود، كذلك لا يمكن تخيل دمار إسرائيل واختفائها من العالم، كما نقرأ، «فإني أنا الرب لا أتغير، وأنتم لا تزالون بني يعقوب» (ملا ٣:٨). على نحو مشابه فقد أقسم وأكد لنا أنه من غير المتخيل أن يرفضنا بالكلية حتى لو عصيناه وأهملنا وصاياه، كما يؤكّد النبي إرميا: «هكذا قال الرب: إن أمكن أن تقاس السماوات من فوق، ويفحص عن أسس الأرض من تحت، فأنا أيضاً أنبذ جميع ذرية إسرائيل، بسبب كل ما صنعوا، يقول الرب» (ار ٣١:٣٧). وهذا الوعد بالذات أعطي من قبل حقاً عبر معلمنا موسى الذي يقول، «ومع ذلك أيضاً، فإذا كانوا في أرض أعدائهم، لا أنبذهم ولا أسأم منهم، بحيث أفنيهم وأنقض عهدي معهم، لأني أنا الرب إلههم» (لا ٢٦:٤٤). وقد ضمن لنا الله على يدي أنبيائه أن لا نبيد ولا نتلف ولا نعدم ملة فاضلة، وأنه كما لا يصح تقدير بطلان وجوده تعالى، كذلك لا يصح تلافنا وإبادتنا من العالم. قال، «فإني أنا الرب لا أتغير، وأنتم لا تزالون بني يعقوب» (ملا ٣:٨). وكذلك بشرنا وأمننا جل اسمه أنه يمتنع عنده تعالى بغضنا بجملتنا، وعلى أنا عصيناه وخالفنا أمره. قال: «هكذا قال الرب: إن أمكن أن تقاس السماوات من فوق، ويفحص عن أسس الأرض من تحت، فأنا أيضاً أنبذ جميع ذرية إسرائيل، بسبب كل ما صنعوا، يقول الرب» (ار ٣١:٣٧). وكذلك بعينه سبق الإعلان في نص التوراه على يد موسى ربينو قال، «ومع ذلك أيضاً، فإذا كانوا في أرض أعدائهم، لا أنبذهم ولا أسأم منهم، بحيث

أفنيهم وأنقض عهدي معهم، لأني أنا الرب إلههم» (لا ٢٦:٤٤).

ضعوا ثقتكم، يا أخوتي، في وعود الكتاب المقدس، ولا تجعلوا الاضطهادات المتعاقبة أو تسلط العدو عليكم أو ضعف شعبنا يرعبكم. فهذه التجارب مصممة لاختبارنا وتنقيتنا بحيث لا يتمسك بديانتنا ويبقى ضمن القطيع غير القديسين والأتقياء الذين هم من نسل يعقوب الطاهر وغير المدنس، كما هو مكتوب، «وفي الباقين أحياء من يدعوهم الرب» (يوء ٣:٥). وهذه الآية توضح أنهم ليسوا كثيرين لأنهم نسل أولئك الذين كانوا موجودين على جبل سيناء، فشهدوا الوحي الإلهي، ودخلوا في عهد الله، وأخذوا على عاتقهم أن يعملوا ويطيعوا كما هو مميز في قولهم، «وسوف نعمل، ونطيع» (خر ٢١:٧). ولم يلزموا بذلك أنفسهم فقط، بل نسلهم ايضاً، كما هو مكتوب، «لنا ولبنينا وللأبد» (تث ٢٩:٢٨). وقد أعطينا تأكيداً إلهياً وافياً بأنه لم يؤمن بموسى وشريعته الأشخاص الذين كانوا حاضرين عند الوحي السينائي فقط، بل سيفعل ذلك أولادهم أيضاً، حتى نهاية الزمان، كما هو مكتوب، «هاأنا آتٍ إليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك أيضاً إلى الأبد» (خر ١٩:٩).

فاعتمدوا على هذه النصوص الصادقة يا أخوتي ولا يهولكم ترادف الشدائد وغلبة الأيادي علينا وضعف كلمتنا، لأن هذا كله امتحان وتطهير، حتى لا يتمسك بالدين ولا يبقى فيه إلا الأولياء الأتقياء من نسل يعقوب، النسل الطاهر الذكي، الذين قيل عنهم «وفي الباقين أحياء من يدعوهم الرب» (يوء ٣:٥). فبين أنهم آحاد، وهم الأقوام الذين خلفوا آبائهم على جبل سيناء،

وسمعوا الكلام من فم الجبار، ومدوا أيمانهم لعهد الله، وسجلوا على أنفسهم بالطاعة والقبول وقالوا «نعمل ونسمع» (خر ٢٤:٧). فألزموا ذلك لهم وللآتين بعدهم، كما قالوا، «لنا ولبنينا للأبد» (تث ٢٩:٢٨). وقد ضمن الله تعالى، وكفى به ضامناً، وأعلمنا أن كل من شهد الوحي على جبل سيناء، مصدقين ومؤمنين بنبوة موسى ربينو وبجميع ما أتى به هم وأولادهم وأولاد أولادهم إلى غاية الدهر وهو قوله تعالى: «هاأنا آتٍ إليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك أيضاً إلى الأبد» (خر ١٩:٩).

وهكذا فمن الواضح أن من يرفض الديانة الموحى بها في التجلي، لا يكون من نسل الشعب الذي شهدها. وقد ألح حاخامونا، طيب الله ذكراهم، بأن الذين تعتريهم الريبة بشأن الديانة الإلهية ليسوا من نسل العرق الذي كان حاضراً على جبل سيناء (ندريم ٢٠ آ). حمانا الله من الشك وإياكم، وأبعد عن وسطنا الإضطراب والشبهة اللذين يقودان إليه.

فلذلك يعلم كل من حاد عن دينه ذاك المنزل في ذلك المشهد العظيم، أنه ليس من نسل أولئك الأقوام. وهكذا يقولون عليهم السلام عن الشكاك في الرسالة «ليس من سلالة العرق الذي كان حاضراً على جبل سيناء» (ندريم ٢٠ آ). عصمنا الله وإياكم من الشك، وأبعد عنا وعنكم اللباس والإيهام المودية إليه والموهنة فيه.

وحي سيناء

والآن، يا أخوتي في الدين في الشتات، ليشجع واحدكم الآخر، ليهد الشيوخ الشباب، ويوجه القادة الجماهير. إقبلوا بالحقيقة الثابتة غير القابلة للتغيير، وبالمسلمات التالية لديانة لن تفشل

أبداً. الله واحد بمعنى فريد للكلمة، وموسى هو نبيه والناطق باسمه، وهو أعظم المتنبئين وأكملهم. فله أعطى الله ما لم يعطه لنبي قبله، وسوف لن يعطي في المستقبل. فقد أنزل الله التوراه كلها على موسى الذي قيل عنه، «فماً إلى فم أخاطبه» (عد ١٢:٨). وسوف لن تبطل ولا تنسخ، ولن يضاف إليها ولا يحذف منها. ولن يحل محلها أبداً وحي إلهي آخر يتضمن واجبات إيجابية وسلبية. تذكروا جيداً بحسب الوصية الإلهية الوحي على سيناء كي تسرمدوا ذكرى هذا الحدث ولا تسمحوا له بالسقوط في النسيان. بل لقد أُمرنا بأن نطبع هذا الحدث في أذهان أطفالنا، كما هو مكتوب، «إنما تنبه واحفظ نفسك جداً، كي لا تنسى الأمور التي رأتها عيناك ولا تبتعد عن قلبك كل أيام حياتك، بل علمها بنيك وبني بنيك» (تث ٤:١٠). فلذلك يا أخوتي جميع إسرائيل المنتشرون في الأقاصي، ينبغي لكم أن تشددوا بعضكم بعض، ويرشد كبيركم لصغيركم وخاصيكم لعاميكم، وتجمعوا كلمتكم على الصدق الذي لا يتغير ولا يتبدل، ودعوة الحق التي لا تسقط أبداً ولا تختل، وهي أن الله تعالى واحد، ليس كسائر الآحاد، وأن موسى نبيه وكليمه سيد جميع النبيين وأكملهم، وهو المدرك من الله ما لم يدركه أحد من قبله ولا يدركه بعده، وأن هذا سفر هاتوراه من برشيت حتى عيون إسرائيل كله كلام الله لموسى ربينو الذي قال له، «فماً إلى فم أخاطبه» (عد ١٢:٨). وأنه لا ينسخ ولا يبدل ولا يزاد فيه ولا ينقص أبداً، ولا تأتي الشريعة من عند الله غير هذه أبداً، لا أمر ولا نهي.

وتذكروا الوحي على سيناء، الذي أمرنا الله بتذكره دائماً،

وحذرنا عن نسيانه، وكلفنا إعلانه لأولادنا حتى ينشؤوا على حلمه، وهو قوله جل من قال، «إنما تنبه واحفظ نفسك جداً، كي لا تنسى الأمور التي رأتها عيناك ولا تبتعد عن قلبك كل أيام حياتك، بل علمها بنيك وبني بنيك يوم وقفت أمام الرب إلهك في حوريب» (تث ٤:١٠).

عليكم، يا رفاقي اليهود، أن تجعلوا مشهد الوحي العظيم هذا يروق لمخيلة أطفالكم. فأعلنوا في التجمعات ذكراه. لأن هذا الحدث هو محور ديانتنا، والدليل الذي يبرهن على صحتها. أعطوا لهذه الظاهرة أهميتها الحقيقة فالكتاب المقدس أشار إلى دلالتها في الآية، «والآن فاسأل عن الأيام الأولى والتي كانت من قبلك، منذ خلق الرب الإنسان على الأرض، من اقسى السماء إلى أقساها؛ هل كان مثل هذا الأمر العظيم أو هل سمع بمثله؟» (تث ٤:٣٢).

وينبغي لكم يا أخوتي أن تربوا أولادكم على تخييل ذلك المشهد العظيم، وتقصوا في كل جمع عظمته وكرامته. فهو قطب الدين والحجة المودية لليقين واستعظموه كل الإستعظام، كما عظمه الله وقال: «والآن فاسأل عن الأيام الأولى والتي كانت من قبلك، منذ خلق الرب الإنسان على الأرض، من اقسى السماء إلى أقساها؛ هل كان مثل هذا الأمر العظيم أو هل سمع بمثله؟» (تث ٤:٣٢).

تذكروا، يا أخوتي في الدين، أن هذا الحدث التاريخي الفريد، العظيم، الذي لا يضاهى، تشهد له أفضل الأدلة. إذ لم يحدث من قبل قط أن شهدت أمة بأسرها وحياً من الله أو شاهدت روعته. وكان الهدف من هذا كله تقويتنا في الإيمان فلا يستطيع شيئ تغييرنا،

وأن نصل إلى درجة موثوقية تدعمنا في أيام الاضطهاد الضاري والاستبداد المطلق التجريبية هذه، كما هو مكتوب، «لأن الله إنما جاء لكي يمتحنكم» (خر ٢٠:١٩). والكتاب المقدس يعني أن الله كشف لكم بهذا الشكل عن ذاته حتى يعطيكم القوة على تحمّل التجارب المستقبلية.فلا تزلّوا ولا تخطئوا، وكونوا راسخين في دينكم وثابروا على إيمانكم وفرائضه.

واعلموا يا أخوتي في هذا العهد والاعتقاد أن هذا الأمر العظيم الذي انقضى في الوجود، الذي شهد به خير الشاهدين، أنه ما كان قبله مثله ولا يكون بعده، وهو أن تسمع أمة بأسرها خطاب الله تعالى وترى نوره عياناً، أنه إنما فعل ذلك ليتمكن الاعتقاد تمكن لا يغيره مغير، ويحصل لنا به من اليقين ما يثبت أقدامنا في هذه الأوقات الصعبة، عند شدة الإكراهات على تبديل الدين والغلبة التامة، وهو قوله تعالى في تعليم ذلك، «لأن الله إنما جاء لكي يمتحنكم» (خر ٢٠:١٩). يعني أنه إنما تجلى هكذا لتثبتوا عند كل اختبار يبتليكم به في ما بعد، فلا تزلوا ولا تخطئوا. فكونوا يا أخوتي على عهدكم ثابتين، وعلى أمانتكم مصرين قائمين.

شولاميت

كان سليمان، طيّب الله ذكراه، قد قارن شعبنا بامرأة جميلة كاملة الهيئة، لا تشوبها شائبة، في الآية، «كلّك جميلة ياخليلتي، ولا عيب فيك» (نش ٤:٧). من ناحية أخرى، فقد وصف باقي الأديان والمعتقدات، الذي يجاهدون لإغوائنا واستمالتنا إلى قناعاتهم، كفاسقين يغوون النساء الفاضلات لغايات دنيئة. كذلك فهم يلتمسون وسائل الإيقاع بنا حتى نعتنق

دياناتهم ونؤيد مذاهبهم. على هؤلاء الذين يحاولون خداعها حتى تعترف بأولوية عقيدتهم، تجيب أمتنا برشاقة، «لماذا تمسكون بي، أليس بإمكانكم أن تضفوا علي شيئاً يشبه هناءة الصاحبين؟ ». وتجادل على هذا النحو، «حين يكون باستطاعتكم أن تقدموا لنا شيئاً كالوحي على سيناء، الذي واجه فيه مخيم إسرائيل مخيم الله وجهاً لوجه، فسوف نعتنق عندئذ ديانتكم ». وهذا ما تعبر عنه مجازياً الآية، «عودي، عودي، يا شولاميت؛ عودي، عودي، فننظر إليك، لماذا تنظرون إلى شولاميت، كإلى الراقصة بين الجوقتين» (نش ٧:١). نقول الآن إن «شولاميت» هي إشارة إلى من هو كامل؛ أما «الراقصة بين الجوقتين» فهي تلميح إلى متعة التجلي على جبل سيناء الذي يظهر فيه مخيم إسرائيل ومخيم الله كما يحاكى الأمر في الآيتين التاليتين: «أخرج موسى الشعب من المخيم لملاقاة الله» (خر ١٧:١٩)، و «مركبات الله ربوات وألوف مؤلفة، السيد فيها وسيناء في المقدس» (مز ١٨:٦٨).

وقد شبه سليمان، طيب الله ذكراه، الملة بامرأة حسناء، كاملة الصورة، لا عيب فيها، كقوله، «كلّك جميلة ياخليلتي، ولا عيب فيك» (نش ٧:٤). وشبه أهل هذه الأديان والاعتقادات الذين يريدون جرها إليهم وردها إلى مذهبهم بالفاسقين الخادعين الذين يخدعون حرائر النساء، لينالوا فيهن فحشاء. كذلك هؤلاء يخدعونا ويردونا لأنفسهم، لعل نتدين بدينهم ونعتقد آرائهم. ثم جاوب بحكمة على لسان الملة، كأنها تقول للذين يريدون خدعها وتفضيل اعتقادهم عندها: لأي شيء تمسكون بي؟ أتوجدوني مثل مسرة المحلتين؟ يعني أنها تحاججهم وتقول لهم: أوجدوني مثل الوحي

على سيناء، الذي كان فيه مخيم إسرائيل ومخيل إلوهيم هذا مقابل هذا، ونرجع لرأيكم. وهو قوله على جهة المثل: «عودي، عودي، يا شولاميت؛ عودي، عودي، فننظر إليك، لماذا تنظرون إلى شولاميت، كإلى الراقصة بين الجوقتين» (نش ١:٧). ومعنى شولاميت الكاملة الفاضلة، والراقصة بين الجوقتين، فرحة التجلي على سيناء، الذي كان فيه مخيم إسرائيل كما يعرف، ويوصى موسى «أخرج الشعب من المخيم لملاقاة الله» (خر ١٩:١٧)، ومخيم الله كما بين وقال، «مركبات الله ربوات وألوف مؤلفة» (مز ١٨:٦٨).

لاحظوا جيداً المخيلة المناسبة والمعنى الأعمق للآية المذكورة آنفاً. فظهور الكلمة «عودي» أربع مرات هو إشارة إلى الإمبراطوريات الأربع، التي ستحاول كل منها إجبارنا على ترك ديننا واعتناق ديانتها. وبالمناسبة، يمكن أن نذكر اننا نعيش الآن تحت درع الإمبراطورية الرابعة. ونبوءة بهذا المعنى موجودة في التوراه، وفحواها أن أعداءنا سوف يُجبروننا على القبول بديانتهم، حيث نقرأ، «وتعبدون هناك آلهة صنع أيدي بشر» (تث ٤:٢٨). مع ذلك فالأمر لن يعم في طول العالم وعرضه ولن يحرمنا الله من شريعته. فقد أكد لنا ذلك بقوله: لأنها لن تنسى من فم نسله. والحقيقة أن إشعياء، بشير الخلاص القومي، قال إن عدم قابلية إسرائيل للدمار هو نتيجة ميثاق إلهي تدل عليه تواصلية التوراه في وسطنا، وتوقيرنا لعقائدها وتعاليمها، حيث يقول: «وأنا فهذا عهدي معهم، قال الرب: روحي الذي عليك وكلامي الذي جعلته في فمك لا يزول من فمك، ولا من فم نسلك، ولا من فم نسل نسلك، قال الرب، من

الآن وللأبد» (اش ٥٩:٢١).

وتأمل حكمة المثل وأسراره، أنه كرر لفظة «عودي» أربع مرات في هذا الفسوق، يشير إلى كوننا نطلب للخروج من الدين والاتحاد بهم في كل واحدة من الأربع ممالك التي نحن اليوم في الآخر منها، وقد توعدنا تعالى في نص التوراه بكونهم يجذبون لاعتقاد رأيهم، وهو قوله، «وتعبدون هناك آلهة صنع أيدي بشر» (تث ٤:٢٨). لكن مع ذلك ليس يكون عام في جميع الأرض، ولا يقطع الله شريعته منا أبداً. ضمن وقال، حتى لا تنسى من فم زرعه. وبين لنا على يد إشعياء بشير الملة أن العلامة بيننا وبينه تعالى والآية الدالة أننا لا نبيد، هي بقاء شريعة الله وكلامه بيننا. قال، «وأنا فهذا عهدي معهم، قال الرب» (إش ٥٩:٢١).

تعليمات أخرى

تتحدث أمتنا بافتخار عن القمع العنيف الذي عانت منه، وعن المحن القاسية التي اجتازتها، وإذا ما استشهدنا بكلام صاحب المزامير نقول، «إننا من أجلك نمات طوال النهار» (مز ٢٤:٢٣). والحاخامون، طيب الله ذكراهم، يلاحظون من مدراش حازيتا أن آية «إننا من أجلك» تشير إلى الجيل الذي يعاني من الاضطهاد (مدراش نشيد الأنشاد، :3I ، طبعة فيلنا Vilna، الورقة ١٣آ). دعوا أولئك الأشخاص يهللون للمعانين من البلايا القاسية، المحرومين من ثرواتهم، المجبرين على النفي والفاقدين لممتلكاتهم. فتحمل هذه الشدائد مصدر للمجد وإنجاز عظيم في نظر الله. وكل من تصيبه تلك الكوارث هو مثل تقدمة مشتعلة على المذبح. وبنوع من الإطراء يمكن أن نطبق عليه الآية، «لقد وقفتم أنفسكم للرب،

كل واحد لقاء ابنه وأخيه، ليعطيكم اليوم بركة» (خر ٣٢:٢٩). وقد امتدحت الملة بين يدي الله تعالى لكونها تحتمل شدائد الإكراه على تبديل الدين وتقاسي شدته. قال: «إننا من أجلك نمات طوال النهار» (مز ٢٤:٢٣). وقالوا طيب الله ذكراهم، في مدراش حزيت إنّ «من أجلك» هذه هي جيل الإجبار على الردة (مدراش نشيد الأنشاد، :I٣، طبعة فيلنا Vilna، الورقة ١٣آ). فليسر كل أهله بما يقاسونه من الشدلئد وذهاب المال والأنجال وفساد جميع أحوالهم. فإن جميع ذلك فخر لهم عند الله تعالى وفوز عظيم، وكل ما يجري منهم إنما هو كقربان منجز على ظهر المذبح، ويقال لهم، «لقد وقفتم أنفسكم للرب، كل واحد لقاء ابنه وأخيه، ليعطيكم اليوم بركة» (خر ٣٢:٢٩).

على من سيكون ضحية لأجل دينه أن يهرب ويفر إلى الصحراء والقيافي، ولا يهتم للانفصال عن العائلة أو لخسران الثروة. لأن ذلك تضحية صغيرة وتقدمة رديئة واجبتان لله، ملك الملوك، الرب إلهكم، الذي اسمه ممجد ورهيب. ويمكن الوثوق بالله كي يعوضكم جيداً في هذا العالم وفي العالم الآتي.

فلذلك ينبغي لهم أن يهربوا ويفروا ويدخلوا الصحاري والقفار، ولا يشفقون على فرقة أهل ولا تلاف مال إن هذا كله قليل ونذر يسير في حق الله ملك الملوك مالك الكل. وهو اسمه الممجد والرهيب، ونثق به لأن يعوضننا أجرنا جيداً في العالم هذا وفي العالم الآتي.

لقد لاحظنا أن الشعب التقي والمتدين تحفزه رغبة لمعرفة الحقيقة، وأولئك المنشغلون

بملاحقتها، يندفعون إلى الديانة الحقيقية، ويتابعون طريقهم إلى أبعد الأماكن، إلى بيوت العلماء. وهم ينشدون الحصول على تبصر متزايد في الشريعة مع الأمل المرافق بأن الله سيضاعف الثواب. وإذا كانت مسألة حفظ الشريعة موضع رهان، فسوف يكون واجب المرء بالذهاب إلى النفي أكبر بكثير.

هكذا وجدنا الفاضلين الطاهرين مؤثرين للحق ومدركيه يتجارون لدين الله من الآفاق البعيدة القاصية، ويقصدون منازل العلماء ليزيدهم بصارة بالشرع، لينالوا بذلك من عند الله من الخير. فكيف أن لا يتجار الإنسان من أجل جملة من الشريعة.

حين يجد المرء أنه من الصعب عليه أن يكسب عيشه في أحد البلدان عليه أن يهاجر إلى بلد آخر. ويجب على اليهودي المقيد في ممارسة ديانته، أن يترك إلى مكان آخر. وإذا وجد أنه من المستحيل عليه ترك ذلك المكان في الوقت الحاضر عليه أن لا يصبح لا مبالياً ويتساهل في الإنغماس في قداسة السبت وشرائع الطعام على افتراض أنه معفي من كل الفرائض الدينية. إنها فريضة دينية لا يمكن النجاة منها إلى الأبد. فعلى كل من ينتمي إلى أرومة يعقوب أن يقبل بالشريعة، طوعاً أو كرهاً. ليس هذا فحسب، بل إنه يعرض نفسه للعقاب على كل انتهاك لكل وصية إيجابية كانت أم سلبية.فلا تدعوا أحداً يستنتج أنّ باستطاعته أن يهمل الطقوس الاقلّ أهمية دون أن يتعرّض للعقاب لأنّه ارتكب آثاماً كبيرة في ظلّ الإكراه.لأنّ رحبعام، ابن نبات، الذي أرجو أن تسحق عظامه، عوقب ليس فقط على خطيئة عبادة العجول وإغواء إسرائيل كي تفعل الشيء ذاته، بل أيضاً على فشله في بناء عريشة في عيد المظال. وهذا هو أحد المبادئ

الأساسية في ديانتنا. فافهموه كما يجب، وعلموه، وطبقوا المبدأ من أوسع أبوابه. ونحن نجد الشخص من الناس إذا ضاقت به معيشة في بلد، خرج إلى بلد آخر. فكيف من ضاق به اعتقاد دين الله في موضع، ألا يخرج إلى موضع آخر؛ ومن اعتذر عليه الخروج مدة ما لا يهمل نفسه، ويتسبب في تدنيس السبت وأكل المحرمات، ويظن أنه قد زال عنه غل الشرع. هذه شريعة لا ينفك منها شخص من بني يعقوب أبداً، لا هو ولا نسله ولا نسل نسله، بل هو معاقب على ما يعطل من أوامرها ويرتكب من نواهيها. ولا يظن الظان، أنه، بكونه فعل الكبائر، سقط عنه الطلب بالصغائر فيسيب فيها. بل يربعام بالنبط سحقت عظامه معاقب على عبادة العجل التي خطأ بها وأخطأ إسرائيل ومعاقب على تعطيله عمل السوكا في السوكوت. وهذا أصل قاعدة من قواعد الشرع فاعلموه وعلموه وقيسوا عليه.

النبي محمد

تذكر في رسالتك أن الرسول بذل جهوده على عدد من الناس كي يؤمنوا بأن آيات عديدة من الكتاب المقدس تشير إلى المجنون، مثل «بميئود ميئود» (تك ١٧:٢٠)، «سطع من جبل فاران» (تث ٣٣:٢)، «نبياً من وسطك» (تث ١٨:١٥)، والوعد لاسمعيل، «أجعل منه أمة عظيمة» (تك ١٧:٢٠). وهذه الحجج تكرر على نحو مستمر إلى درجة أنها صارت تبعث على الغثيان. ويكفي الإعلان أنها واهية بالكامل؛ ليس هذا فحسب، بل إن إيراد هذه الآيات كحجج أمر سخيف وغير عقلاني إلى أبعد حد. لأن هذه مسائل لا يمكن أن تشوش ذهن أي إنسان. فلا العامة غير المثقفين ولا المرتدين أنفسهم الذي يخدعون الآخرين

بها، يؤمنون بها أو يفكرون بأية أوهام حولها. وغرضهم من إيراد هذه الآيات هو كسب الحظوة في أعين الأغيار عن طريق البرهان بأنهم يؤمنون بعبارة القرآن القائلة إن محمداً مذكور في التوراه. لكن المسلمين أنفسهم لا يؤمنون بهذه الحجج، ولا يقبلون بها ولا يريدونها، لأنه من الواضح أنها تنطوي على مغالطة كبيرة. ونظراً لأن المسلمين لم يستطيعوا أن يجدوا دليلاً واحداً في الكتاب المقدس كله ولم يكن باستطاعتهم استخدام إشارة أو تلميح محتمل إلى نبيهم، فقد أُجبروا على اتهامنا بقولهم: «لقد بدّلتم في نصّ التوراه، فشطبتم منه أية إشارة إلى إسم محمد ». وهم لم يستطيعوا أن يجدوا ما هو أقوى من هذه الحجة الحقيرة التي يسهل البرهان على زيفها للناس قاطبة عبر الحقائق التالية. أولاً، لقد ترجم الكتاب المقدس إلى السريانية، اليونانية، الفارسية واللاتينية قبل ظهور محمد بمئات السنين. ثانياً، هنالك تقليد متناسق بالنسبة لنص الكتاب المقدس في الشرق والغرب على حد سواء، مع نتيجة فحواها أنه لا توجد فروقات في النص البتة، ولا حتى في التشكيل، لأنه كله صحيح. كذلك لا توجد أية فروقات مؤثرة في المعنى. إذاً، فالدافع إلى اتهامهم يكمن في غياب أي تلميح إلى محمد في التوراه.

وأما ماذكرته من أمر المرتد الذي أوهم الناس أجد بميئود ميئود (تك ١٧:٢٠) تعني المجنون. وكذلك قوله «سطع من جبل فاران» (تث ٣٣:٢) يشير إليه، وكذلك قوله «نبياً من وسطك، من أخيك» (تث ١٨:١٥)، وكذلك وعده لإسمعيل «أجعل منه أمة عظيمة» (تك ١٧:٢٠)، فهذه أمور قد شامت من كثرة قولها، ولا يقال فيها إنها في

نهاية الضعف، بل الاستدلال بها مضحكة ولهو محض. وهي أمور لا توقع شبهة بوجه، ولا حتى عند العوام والأغيار، والمرتدون أنفسهم الذين يمخرقون بها، ليس يتوهمون ذلك ولا يلبس عليهم، وإنما يقصدون بهذه الأقوال أن يشرفوا بها عند الأغيار وأن يوروهم أنهم صدقوا ما في القرآن من قوله إن المجنون مكتوب في التوراه. والمسلمون أنفسهم لا يصدقوا هذه الدلائل ولا يقبلونها ولا يستدلون بها، وإنها بينة الفساد جداً. ولما لم يجدوا حجة لهم بوجه في جميع التوراه، ولا نص بوهم أو شبه، حتى يتعلقوا به، التجؤوا ليقولوا بدلتم التوراه وغيرتموها، وأنتم قشطتم اسم فلان منها. وما وجدوا لهم حجة أخلص من هذه، مع كونها في غاية الشناعة والقبح، وبطلانها ظاهر للعام والخاص، بكون التوراه أكرجت إلى لسان السريان واليونان والفرس واللاطين قبل قيام المنبوذ بمئات من السنين، وأيضاً كونها رواية الكافة عن الكافة في مشرق الأرض ومغربها، وليس يوجد في جميع ذلك خلاف أصلاً ولا في نقطة، لأنهم ضبطوه، ولا يوجد اختلاف بالمعنى. وما ألجأهم لهذه الحجة الضعيفة إلا عدم نص يشبه التوراه.

الرد مفصلاً

إن عبارة «أمة عظيمة» الواردة آنفاً لا تعني ضمناً شعباً يمتلك نبوة أو شريعة، بل فقط أمة عظيمة العدد كما يقول الكتاب المقدس في الإشارة إلى الوثنيين، «أمماً أعظم واقوى منكم» (تث ١١:٢٣). كذلك فعبارة «بميئود ميئود» تعني ببساطة «على نحو مفرط». ولو كان هنالك أي تلميح في الآية إلى محمد، لوجب أن تكون بالتالي «وسوف أباركه بميئود ميئود»، ووحده الذي يتعلق بخيوط العنكبون يمكنه أن يكتشف هناك

إشارة إلى محمد. لكن والحق يقال، كون الكتاب المقدس يقول، «أكثره بميئود ميئود »، فهذا لا يشير ضمناً إلا إلى مجموعة كبيرة عددياً. وذلك أن قوله «أمة عظيمة» ليس يعني النبوة ولا الشريعة، بل كثرة العدد فقط. وقد قال عن عبدة الأوثان، «أمماً أعظم واقوى منكم» (تث ١١:٢٣)، وكذلك قوله بميئود ميئود، الذي معناه جداً جداً، لو كان الغرض به أن يخرج به فلان، كان يقول «وأباركه بميئود ميئود »، وكان يمكن أن يتعلق هذا المتعلق بخيوط العنكبوت بهذا، ويقول أن معناه أبركنو بأن يكون من نسله فلان. فأما منذ قال بميئود ميئود بعد وأكثره دل أنه مبالغة في كثرة العدد.

ما من تساءل يطرح حول أن التأكيد الإلهي لابراهيم بمباركة نسله، عبر كشف التوراه له، وجعله الشعب المختار، إنما هو إشارة فقط إلى بني إسحق. لأن إسمعيل مذكور كملحق وذيل في بركة إسحق، التي تقول، «وأما ابن الخادمة، فهو أيضاً أجعله أمة» (تك ٢١:١). وهذه الاية توحي بأن اسحق يمتلك موقعاً فائقاً واسمعيل موقعاً خاضعاً. وتتوضح هذه المسألة أيضاً في البركة التي تتجاهل اسمعيل بالكامل. «لأنه بإسحق يكون لك نسل باسمك» (تك ٢١:١٢). ومعنى وعد الله لابراهيم هو أن نسل اسمعيل سوف يكون كثيراً لكنه لن يكون مبرّزاً ولا غرضاً لوحي إلهي، ولا متميزاً بحيث يصل إلى الإمتياز. وليس بسببهم سيصبح إبراهيم مشهوراً أو معروفاً، بل بسبب ابناء اسحق المشهورين واللامعين. أما كلمة «يدعيا» فهي تعني ببساطة، سوف يكونان مشهورين، كما هي الحال في الآية، «وليدعيا باسمي وباسم أبوي إبراهيم وإسحق» (تك ٤٨:١٦). تشير آيات أخرى

ايضاً إلى أنه حين وعد الله إبراهيم بأنه سوف تعطى شريعة لأولاده كما تتضمن كلمات «وأكون لهم إلهاً» (تك ٨:١٧)، فقد كان يعني إسحق لاستبعاد اسمعيل كما هو مصرح به في القول، «غير أن عهدي أقيمه مع إسحق» (تك ٣:١٧)، مع أنه كان قد أضفى للتو إستحسانه على إسمعيل حين قال، «وهاءنذا أباركه» (تك ٢٠:١٧). كذلك فقد حرم إسحق عيسو من بركة إبراهيم، حين منحها ليعقوب حصراً، كما نقرأ في بركته، «ويعطيك بركة إبراهيم» (تك ٤:٤٨). وباختصار نقول، إن العهد الإلهي المقام مع ابراهيم لمنح الشريعة الفائقة لنسله أشار حصرياً إلى أولئك الذين ينتمون إلى أرومة كل من إسحق ويعقوب. وهكذا فالنبي يعبر عن شعوره بالعرفان إلى الله بسبب «العهد الذي قطعه مع إبراهيم، والقسم الذي أقسمه لإسحق، والذي جعله فريضة ليعقوب، وعهداً أبداً لإسرائيل» (مز ٩:١٠٥؛ ١ أخ ١٦:١٦).

وقد بين الله تعالى في التوراه عند خطابه لإبراهيم أن كل ما وعده الله تعالى من البركات ومن كونه يشرع بنيه ويميزهم إنما يكون ذلك من نسل إسحق فقط، وهو مضاف وملحق في بركات إسحق، وهو قوله، «وأما ابن الخادمة، فهو أيضاً أجعله أمة» (تك ١:٢١). فبين بذلك أن الأصل إسحق، وهذا مضاف، وصرح تعالى وقال، «لأنه بإسحق يكون لك نسل» (تك ١٢:٢١)، وأضرب عن اسمعيل جملة واحدة، يعني أن نسله، ولو كثير العدد، فليس يكون فاضل ولا مرضي ولا له حظ في كمال الإنسان، فتشهر به وتعرف إنما تعرف فضيلتك بنسلك الفاضل، وهو نسل يكون إسحق. وهذا هو معنى يقرا [يدعيا]، كما قال: «وليدعيا باسمي وباسم أبوي إبراهيم وإسحق» (تك ١٦:٤٨)،

يعني يشهر به ويعلم. وثم بين في إسحق أن تلك البركات التي وعد بها إبراهيم، من جملتها أن يكون في بنيه شريعة الله ودين، كما يعده في نسله وقال، «وأكون لهم إلهاً» (تك ١٧:٨)، ثم خصص إسحق عن إسمعيل بجميع ذلك كما بينا ببيان، كخصه بالدين دون إسمعيل، هو قوله، «غير أن عهدي أقيمه مع إسحق» (تك ١٧:٣)، بعد قوله في إسمعيل «وهاءنذا أباركه» (تك ١٧:٢٠). وبين لنا الله تعالى على يدي إسحق أن يعقوب قد خصص بجميع ذلك دون عيسو، وهو قول إسحق له «ويعطيك بركة إبراهيم» (تك ٤٨:٤). فقد تبين لنا من نصوص التوراه أنه فضيلة الدين الموعود بها إبراهيم، المعهود إليها، أنها ستكون في بنيه، خصصت بإسحق ثم بعقوب من نسل إسحق. وهو قول النبي شاكراً لله على هذه النعمة الطولى «العهد الذي قطعه مع إبراهيم، والقسم الذي أقسمه لإسحق، والذي جعله فريضة ليعقوب، وعهداً أبداً لإسرائيل» (مز ١٠٥:٩؛ ١ أخ ١٦:١٦).

اسم النبي محمد

لا بد أن نلاحظ أيضاً أن اسم النبي العربي الذي يعتقد المحمديون متوهمين أنه مذكور في التوراه، والذي يجده المرتدون اليهود في عبارة «بميئود ميئود »، هو أ ح م د وليس م ح م د. وهكذا ففي القرآن يقال بوضوح، «يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل (٧:١٩٧) اسمه أحمد ». لكن القيمة العددية للفظ الأخير لا تساوي القيمة العددية لكلمتي «بميئود ميئود» اللتين يفترض أنهما تتضمنان تلميحاً لنبي الإسلام.

ومما يجب أن تعلمه أن الإسم الذي تزعم الإسماعيليون أنه مكتوب في التوراه، التي يتعلق به

المرتدون من بميئود ميئود، ليس هو م ح م د ، بل أنه أ ح م د . هكذا نص قولهم، «يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل» (القرآن ١٩٧:٧) اسمه أحمد، وليس عدد بميئود ميئود مثل عدد هذا الاسم الذي زعم أنه مكتوب في التوراه.

سطع من جبل فاران

أما البرهان من عبارة «سطع من جبل فاران» (تث ٢:٣٣) فمن السهل دحضه. لأن سطع بصيغة الماضي. ولو كان الكتاب المقدس استخدم صيغة المستقبل، «سوف يسطع من جبل فاران »، لكان عند الأفاكين أثر ضئيل من حقيقة. لكن استخدام صيغة الماضي «سطع» يبرهن أن هذه العبارة تصف حدثاً مضى، وهو التجلي على سيناء. فحين كان الإله موشكاً أن يكشف عن ذاته على سيناء، لم ينزل النور السماوي على نحو مفاجئ وكأنه صاعقة، بل هبط بلطف، كاشفاً عن نفسه تدريجياً من قمة أحد الجبال ثم من الآخر، حتى وصل إلى موضع إقامته في سيناء. وهذه الفكرة متضمنة في الآية، «أقبل الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وسطع من جبل فاران» (تث ٢:٣٣). لاحظوا جيداً، أن تعبير «لهم» يشير إلى إسرائيل. ولاحظوا أيضاً كيف يشير الكتاب المقدس إلى الدرجات المتعددة لكثافة الروعة الإلهية. فهو يتحدث عن النور الذي سطع من جبل فاران والذي ينقل لاحقاً من سيناء، وكذلك عن النور الذي أشرق من جبل سعير، والذي هو أقرب إليه، وأخيراً عن كشف روعة الله الكاملة على سيناء والذي كان هذا في التجلي حيث يقال، «وحل مجد الرب على جبل سيناء» (خر ١٦:٢٤)، «وأقبل الرب من سيناء» (تث ٢:٢٣).

وأما قوله «سطع من جبل فاران» (تث ٣٣:٢)، فهو فعل ماض، ولو قال «يسطع من جبل فاران »، لقد كان يمكن أن يستحسن المخرقة أن يتعلق بذلك. أما قوله «سطع» دل أنه أمر قد جرى. وذلك أنه يصف الوحي على سيناء، ويقول إنه عندما تجلى النور على سيناء، لم ينزل من السماء على سيناء كنزول الصواعق، بل أقبل برفق، يتجلى من رؤوس الجبال رويداً رويداً، من رأس جبل إلى رأس جبل، إلى أن استقر على سيناء فقال، «أقبل الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وسطع من جبل فاران» (تث ٣٣:٢). فاعتبر قوله «لهم» يعني إسرائيل. واعتبر كيف قال في «فاران» الذي هو أبعد «سطع »، وعن «سعير» الذي هو أقرب «أشرق» وعن «سيناء» الذي هيأ المقايسة، وفيه استقر النور، كما قال، «وحل مجد الرب على جبل سيناء» (خر ٢٤:١٦)، قال فيه «وأقبل الرب من سيناء» (تث ٣٣:٢).

كذلك فإن وصف ديبورا لفخامة إسرائيل عن الوحي على سيناء حين صاحت «حين خرجت يا رب من سعير، وزحفت من حقول أدوم» (قض ٥:٤)، يعبر عن الفكرة القائلة إن النور هبط تدريجياً من جبل إلى جبل. ويخبرنا حاخامونا، طيب الله ذكراهم، أن الله، المحمود والمعظم، حمّل أحد الأنبياء قبل أيام موسى مهمة أن يذهب إلى الرومان وآخر غيره مهمة أن يذهب إلى العرب بهدف تقديم التوراه لهم، لكن الطرفين بالمقابل ازدروا بها. وحين أرسل الله موسى بعد ذلك إلينا أعلنا قبولنا بكلمات: «كل ما تكم به الرب نفعله ونطيعه» (خر ٢٤:٧). والحدث المذكور آنفاً كان قبل الوحي السينائي، وبالتالي فالكتاب المقدس يتكلم بصيغة الماضي:

«أقبل وأشرق وسطع »، وهو ما يبرهن أن هذه الكلمات لا تقصد أية نبوة. وهكذا وصفت ديبورا عندما وصفت شرف الملة في الوحي على سيناء، أن النور تمشي رويداً رويداً من جبل إلى جبل. قالت، «حين خرجت يا رب من سعير، وزحفت من حقول أدوم» (قض ٥:٤). وعلى ما بينوه الحخميم طيب الله ذكراهم أن الله بعث رسول إلى الروم قبل موسى ربينو، وعرض عليهم التوراه فلم يقبلوها منه، ثم بعث آخر إلى العرب وعرضها عليهم فلم يقبلوها منه. ثم بعث لنا موسى ربينو فقبلنا، وقلنا، «كل ما تكم به الرب نفعله ونسمعه» (خر ٢٤:٧). وهذا كله أمر جرى قبل تنزيل التوراه، وهكذا جاء بها أفعال ماضية، «أقبل وأشرق وسطع »، وليس هي إنذار بما سيكون.

مثلي، من وسطك، من أخوتك.

تكتب في رسالتك، أن بعض الناس خُدعوا بالحجة القائلة إن محمداً مشار إليه في الآية، «يقيم لك الرب إلهك نبياً مثلي من وسطك، من أخوتك» (تث ١٨:١٥)، في حين ظل آخرون غير مقتنعين بسبب عبارة «من وسطك ». إن أكثر ما يدهشنا هو أن يضلل بعض الناس ببرهان خادع كهذا، في حين كان آخرون شبه مقتنعين، كما لو أن عبارة «من وسطك» غير موجودة. وفي ظل هذه الظروف عليكم التركيز على رأيي في المسألة وفهمه. وتذكروا أنه لا حق لكم في أخذ مقطع عن سياقه واستلال نتائج منه. عليكم أن تأخذوا بعين الاعتبار العبارات السابقة واللاحقة كي تسبروا غور معنى الكاتب وقصده قبل أن تقوموا بأية استقراءات. ولو كان الأمر على غير

هذا النحو، لبدى ممكناً حتماً أن الكتاب المقدس حظر إطاعة أي نبي، وحرم الإيمان بالمعجزات، وذلك عن طريق الاستشهاد بالآية، «فلا تسمع كلام هذا النبي» (تث ٤:١٣). ويمكن التأكيد أيضاً أن هنالك وصية إيجابية تطلب منا أن نعبد الأوثان، وذلك عن طريق الاستشهاد بالآية، «وتعبدوا آلهة أخرى» (تث ٢٦:١١). ويمكن تقديم أمثلة توضيحية أخرى كثيرة وفق ما تشاؤون. باختصار، من الخطأ تفسير أية آية بعينها بمعزل عن سياقها. أما استدلاله بقوله «نبياً مثلي من وسطك، من أخوتك» (تث ١٥:١٨)، وقولك إن بعض الناس ألبس عليهم ذلك، وبعضهم زالت عليهم الشبهة بقوله «من وسطك »، فالعجب العجب من الذي ألبس عليه هذا، أو الذي يظن هذه الشبهة، وظن أن حلها بقوله، «من وسطك »، وأن لولا قوله «من وسطك من أخيك» لكان ذلك دليل. وهنا ينبغي لك أن تجعل ذهنك وتفهم ما أقول.

إعلم أن لا يسوغ للإنسان أن تقتطع قول ما من كلام متصل ويستدل به، بل ينبغي أن ينظر إلى ما قبله وما بعده، حتى يكمل المعنى ويعلم غرض قائله، وحينئذ يستدل به. ولو ساغ لأحد أن يستدل بكلام مقطوع مما قبله وما بعده، لجاز للقائل أن يقول إن الله تبارك وتعالى نهانا في التوراه عن طاعة كل نبي من الأنبياء، وأن لا نلتفت له إلى آية، وهو قوله «فلا تسمع كلام هذا النبي» (تث ٤:١٣). وكذلك كان يقول إن الله أمرنا بعبادة الأوثان، وهو قوله «وتعبدوا آلهة أخرى» (تث ٢٦:١١). وما شابه هذا كثير جداً في كل كلام. وهذا بين الفساد، لأنه لا يستدل بنص بوجه حتى يعلم غرض النص مما قبله وما بعده فيفهم غرضه.

ومن أجل أن نستوعب على نحو مطلق الآية التي هي موضع نقاشنا، أي، «يقيم لك الرب إلهك نبياً مثلي من وسطك، من أخوتك »، من الضروري أن نتحقق من سياقها. فبداية المقطع الذي تأخذ الآية منه، تتضمن تحريماً لأعمال الكهانة، العرافة، التنبؤ، التنجيم، السحر، التعويذ، وما شابه. يؤمن الأغيار أن بإمكانهم التنبؤ عبر هذه الأعمال بمسار الأحداث المستقبلية وأخذ التدابير الوقائية الضرورية تحسباً لها. وتحريم هذه الإجراءات الغريبة كان مصاحباً بالتفسير القائل إن الأغيار يؤمنون أن بإمكانهم الإعتماد على تلك الأعمال لتحديد حوادث مستقبلية. لكن يجب أن لا تتحدثوا هكذا. فسوف تحصلون على معلومات بشأن هذا الزمن الآتي من نبي سيقوم من بينكم، والذي ستتحقق نبوءاته ولا تخفق. وهكذا فسوف تصلون إلى معرفة بالظروف دون أن تجبروا على العودة إلى العرافة، الكهانة، التنجيم، وما شابه، لأنه سيعفيكم من ذلك. وسوف تسهل الأمور عليكم عبر الحقيقة القائلة إن النبي سيعيش ضمن حدودكم. فلن تجبروا على الذهاب من بل إلى بلد للبحث عنه ولا أن تسافروا إلى مناطق بعيدة، كما هو متضمن في عبارة «من وسطك ».

أكثر من ذلك، فكلمات «مثلي من وسطك، من أخوتك »، تعبر عن فكرة مفادها أنه سيكون واحداً منكم، أي يهودياً. وقد أضفيت كلمة «مثلي» تحديداً لتعني أن نسل يعقوب هم وحدهم المعنيون بالأمر. أما عبارة «من أخوتك» بحد ذاتها فربما أنه أسيء فهمها إذ اعتبر أنها تشير أيضاً إلى عيسو واسماعيل، حيث نجد أن إسرائيل يخاطب عيسو بالأخ، كما على سبيل المثال، في الآية، «هكذا قال أخوك إسرائيل» (عد

٢٠: ١٤). من ناحية أخرى، فكلمة «مثلي» لا تتضمن معنى أن النبي بعظمة موسى، لأن هذا التفسير مستبعد عبر العبارة، «ولم يقم بعد في إسرائيل نبي كموسى» (تث ٣٤: ١٠). والإتجاه العام للفصل يشير إلى دقة تفسيرنا الذي يؤكده تعاقب الآيات، أي، «لا يكن فيك من يحرق ابنه أو ابنته بالنار، الخ» (تث ١٨: ١٠)، «لأن تلك الأمم التي أنت طاردها تصغي إلى المنجمين والعرافين. وأما أنت فلم يجز لك الرب إلهك مثل ذلك» (تث ١٨: ١٤)، «يقيم لك الرب إلهك نبياً مثلي من وسطك، من بين أخوتك» (الآية ١٥). يتبين بوضوح أن النبي المشار إليه هنا سوف لن يكون شخصاً يقدم شريعة جديدة، أو يؤسس ديانة جديدة. وسوف يمكننا فقط من طرد المتنبئين والمنجمين، وسيكون متاحاً لنا أن نشاوره في كل ما يحدث لنا، تماماً مثلما يتشارو الأغيار مع العرافين والكهان. وهكذا نجد أن شاؤول يشاور صموئيل بشأن الحمير الضائعة، كما نقرأ، «وكان فيما سبق إذا أراد الرجل في إسرائيل أن يذهب ليسأل الله يقول هلم نذهب إلى الرائي» (١ صم ٩: ٩). وهذا الفسوق الذي هو «نبياً من وسطك» ينبغي أن ينظر إلى ما قبله وما بعده مما يتصل به، فينفهم ولا يبقى فيه إشكال بوجه. وذلك أنه نهانا في أول البرشاه عن الإشتغال بالفئل والكهانة وأحكام النجوم والسحر والرقوة وما أشبهها. وهذه هي الأشياء التي تزعم الملل أنها تعلم بها ما سيحدث قبل حدوثه، فتستعد له. فلما نهانا تعالى عن الاستغال بهذه الأشياء، قال لنا إن جميع الملل تزعم أنها تعلم ما سيحدث من هذه الطريق، وأنت ليس من هذه الطريق تعلم ما يكون، بل أنك تعلمه من نبي نبعي فيكم، يخبركم بما سيكون، ويصدق

ولا يختل قوله، فتكونوا قد حصلتم على تقدمة المعرفة منه، دون زجر، دون كهانة، دون أحكام نجوم وغيرها. ثم بين سهولة الأمر وقال إن كل نبي يبعث لكم ويخبركم بما سيكون، إنما يكون في ما بينكم، حتى لا تلتجئ لتطوف خلفه من بلد إلى بلد، أو تقطع إليه مسافة بعيدة، وهذا هو معنى قوله «من وسطك ». ثم أخبر بأخبار آخر وقال إنه مع كونه قريب منكم وفي ما بينكم، يكون منكم أيضاً، أعني من إسرائيل، حتى تكون هذه الفضيلة، وهي التقدم بمعرفة ما يكون، مختصة بكم. ولذلك أكد الأمر وقال «مثلي »، لأنه لما قال «من أخوتك، كان يظن أنه يكون من عيسو أو من إسمعيل، كما وجدناه يقول لبني عيسو «هكذا قال أخوك إسرائيل» (عد ٢٠:١٤). فأكد ذلك بقوله «مثلي» يعني من بني يعقوب. ولم يريد «بمثلي» مثلي في علو درجة النبوة، لأنه قد قال «ولم يقم بعد في إسرائيل نبي كموسى» (تث ٣٤:١٠). وهذا هو نصّ البرشاه الدال على جميع ما ذكرنا. قال «لا يكن فيك من يحرق ابنه أو ابنته بالنار، الخ» (تث ١٨:١٠)، «وتصغي إلى المنجمين، الخ... والعرافين وأما أنت فلم يجز لك الرب إلهك مثل ذلك» (تث ١٨:١٤). «نبياً من وسطك» (الآية ١٥). فقد تبين ووضح أن هذا النبي الموعود به هنا ليس هو نبي يجيء بشريعة ولا يعمل دين. وإنما هو شخص يغنينا عن الكهانة وأحكام النجوم، ونسألة في جميع ما يعترينا، كما تسأل الملل السحرة والعرافين. كما وجدنا شاؤول يسأل صموئيل عن تليفة تلفت له، كما قال، «لأن الذي يقال له اليوم النبي كان يقال له من قبل راء» (١ صم ٩:٩).

معايير نبوية

إنّ عدم إيمننا بنبوية عمر وزيد ليس مردّه أنهما من غير اليهود، كما يتخيل بعض الجهّال، والذين هم مجبرون بالتالي على تسويغ وجهة نظرهم عبر الآية الكتابية، «من وسطك، من أخوتك». لأن أيوب، زوفار، بلدد، الفاز، واليهو يعتبرون جميعاً أنبياء وهم من غير اليهود. من ناحية أخرى، فرغم أن حنانيا، ابن عزور كان يهودياً، إلا أنه اعتبر نبياً ملعوناً وكاذباً. إن اعتقادنا بنبي أو عدمه إنما يعتمد على طبيعة عقائده، لا على أصله، كما سنوضح الآن. فبعدما شهد أجدادنا موسى، معلمنا، أعظم الأنبياء، وهو يتحدث مع الإله، وضعوا فيه إيماناً ضمنياً حين قالوا له، «تقدم أنت واسمع» (تث ٥:٢٧). ونقول الآن إنه أُكِّد لنا أنه لم تبق في السماء شريعة أخرى يمكن أن تنزل لاحقاً، بل لن توجد شريعة إلهية أخرى، كما تشير الآية ضمناً، «لا هي في السماء» (تث ٣٠:١٢). والكتاب المقدس يحظر علينا القيام بأية تعديلات على الشريعة أو حذف أي شيء منها، حيث نقرأ، «لا تزد عليه ولا تنقص منه» (تث ١٣:١). لقد رهنا أنفسنا لله وألزمناها بأن نلتزم بشريعته، نحن وأبناؤنا وأبناء أبنائنا، حتى نهاية الزمان كما يقول الكتاب المقدس، «الخفايا للرب إلهنا، والمعلنات لنا ولبنينا للأبد» (تث ٢٩:٢٨). وهكذا، فأي نبي، بغض النظر عن اصله، سواء أكان كاهناً أم لاوياً أم عماليقياً، يكون خائناً حين يؤكد أن واحدة فقط من وصايا التوراه عقيمة، بسبب القول الموسوي، «لنا ولبنينا إلى الأبد». وسوف نعلن أن مثل هذا الشخص نبي مزيف وسنعدمه إذا كان لنا حكم عليه. ولن نلقي بالاً إلى المعجزات التي قد يقوم بعملها، تماماً مثلما نهمل عمل المعجزات عند من

يحاول إغواء الناس كي يعبدوا الأوثان، كما تأمرنا الآية، «ولو تمت الآية أو الخارقة التي كلمك عنها... فلا تسمع كلام هذا النبي» (تث ١٣: ٣ - ٤). وأما كوننا لا نصدق نبوة عمر وزيد، فليس ذلك من اجل كونهم من غير إسرائيل، كما يظن العوام، حتى نلتجئ للتفقه من قوله «من وسطك، من اخيك »، لأن أيوب وصوفر وبلداد وأليغار وأليهو كلهم عندنا أنبياء وإن كانوا ليس من إسرائيل، وكذلك حنانيا بن عزور نبي كاذب ملعون وإن كان من إسرائيل. وإنما نصدق النبي أو نكذبه من جهة دعواه لا من جهة نسبه. وبيان ذلك أن هذا النبي موسى ربينو معلم كل الأنبياء، الذي سمعنا خطاب الله له وصدقناه وأيقنا بقوله وقلنا له «تقدم أنت واسمع» (تث ٥:٢٧)، قال لنا إنه لم تبق في السماء شريعة أخرى تنزل، ولا ثم دين آخر يأتي، قال «لا هي في السماء» (تث ١٢:٣٠)، فنهانا عن الزيادة والنقصان في هذه الشريعة كلها وقال «لا تزد عليه ولا تنقص منه» (تث ١:١٣). وضمننا وألزمنا من الله اعتقاد هذه الشريعة، نحن وأولادنا وأولاد أولادنا، إلى غابر الدهر، وهو قوله «الخفايا للرب إلهنا للأبد» (تث ٢٨:٢٩). فكل نبي يأتي، سواء كان في نسبه لاوي أو كاهن أو عماليق، فيدعي أن واحدة من جميع الشريعة المشتمل عليها سفر التوراه قد بطل لزومها، فقد كذّب موسى ربينو القائل «لنا ولبنينا إلى الأبد ». ولذلك نكذبه ونقتله إن قدرنا على ذلك، وليس نلتفت لمعجزاته، كما ليس نلتفت للذي يدعو لعبادة الأوثان، كما قال، «ولو تمت الآية أو الخارقة... فلا تسمع» (تث ١٣: ٣ - ٤).

وكون موسى، طيب الله ذكراه، حرّم عبادة الصور في كل زمان، فنحن نعرف أن معجزات

المدعي الذي يغوي الناس كي يعبدوا الأوثان إنما تتم بالحيل والشعوذة. كذلك، كون موسى علمنا أن الشريعة أزلية، فنحن نوصم بشكل مطلق كل من يجادل بأن قدرها أن يسري مفعولها لحقبة معينة من الزمان على أنه مراوغ، لأنه يتعارض مع موسى. وهكذا فنحن لا نلقي بالاً إلى تأكيداته أو أعماله الفائقة للطبيعة. لأن موسى عليه السلام قال لنا لا تعبدوا الأوثان أبداً، فلذلك نعلم أن تلك الآية التي يأتي بها متنبئ باسم الأوثان حيلة وسحر. وكذلك قال لنا موسى ربينو إن الشريعة مؤبدة إلى الأزل، فلذلك كل نبي يدعي إنها لزمان نعلم من مجرد دعواه أنه نبي كاذب، لأنه مكذب لموسى ربينو، فلا نطلب منه آية ولا نلتفت لمعجزته الذي نزعم أنها معجزة إذا عملها.

موسى ونبوته

لأننا لا نؤمن بموسى بسبب معجزاته، فلا شيء يجبرنا على إجراء مقارنة بين معجزاته ومعجزات الآخرين، فمرد ثقتنا الراسخة وإيماننا الثابت إلى الأبد بموسى هو حقيقة أن أجدادنا إضافة له أيضاً، سمعوا الحديث الإلهي على سيناء، كما يقال في الكتاب المقدس، «ويؤمن بك للأبد» (خر ١٩:٩). هذه الحالة شبيهة بحالة شاهدين رأيا فعلاً معيناً في الوقت ذاته.فكل واحد رأى ما رآه رفيقه وكل واحد متأكد من حقيقة قول رفيقه، وهو لا يطلب دليلاً أو برهاناً، في حين أن الآخرين الذين يخبرونهم بهذه الواقعة، لن يعتقدوا دون دليل أو شهادة. كذلك، فنحن أتباع الإيمان اليهودي، مقتنعون بحقيقة نبوة موسى، لأننا كأسلافنا شهدنا معه الوحي الإلهي على سيناء، وليس فقط بسبب معجزاته. فقد أنجز كل

هذه الأمور كما تطلب الحدث وكما هو مدون في الكتاب المقدس.

نحن لا نصدق عقائد من يصنع المعجزات، بالطريقة ذاتها التي نثق بها بحقيقة موسى معلمنا، ولا مجال للمقارنة بينهما. هذا الفرق مبدأ أساسي في ديانتنا، لكن يبدو أنه سقط في هاوية النسيان، وأهمل من قبل أخوتنا في الدين. وهذه الفكرة كانت حاضرة في ذهن سليمان حينما خاطب الأغيار نيابة عن إسرائيل، «لماذا تنظرون إلى شولاميت؟» (نش ٧:١). والآية تعني، «إذا كان باستطاعتكم أن تقدموا أي شيء كالوحي على سيناء فسوف نسلم عندئذ ببعض الهواجي حيال موسى. لأن تصديقنا لموسى لم يكن من أجل معجزاته حتى يلزم من ذلك أن نقيس بين معجزات هذا وهذا. وإنما صدقناه وأيقنا به بكوننا سمعنا الخطاب الإلهي كما سمعه هو، وبهذا صح الإيمان الصحة التامة الثابتة إلى الأبد، كما قال، «ويؤمن بك للأبد» (خر ١٩:٩).

ومثلنا مع موسى ربينو مثل حال الشاهدين الذين شهدا أمر ما معاً، الذي كل واحد منهما شاهد مثل ما شاهد الأخر، الذي كل منهما يعرف يقين صاحبه وصحة قوله، وليس يحتاج على ذلك دلائل ولا براهين، وإن كان سائر الناس الذين يشهدون عندهم لا يعلمون ذلك يقين، بل يحتاجوا على ذلك دليل وبرهان عند عامة الخلق. كذلك نحن معشر بني إسرائيل علمنا صدق موسى ربينو بكوننا شاهدناه في الوحي على جبل سيناء في الخطاب، لا بمجرد معجزاته، وإنما فعل كل ما فعل من المعجزات بحسب الحاجة كما بان في نص التوراه. ولهذا الأصل العظيم الذي أغفله ولم يصدق عليه كثير من أهل الملة، صرنا لا نصدق بالمعجزات

كتصديقنا لموسى ربينو، ولا نساوي بينهما في اليقين. ومن أجل هذا قال سليمان على لسان الملة «لماذا تنظرون إلى شولاميت، كإلى الراقصة بين جوقتين؟» (نش ١:٧)، يقول إنكم إن قدرتم أن تقيموا لي مثل هذا الوحي على جبل سيناء حينئذٍ تشككون في موسى.

معايير نبوية أخرى

حين يحرض نبي يهودي أو نبي من الأغيار الشعب ويشجعه على اتباع ديانة موسى دون إضافة أي شيء إليها أو حذف أي شيء منها، كإشعياء، إرميا، والآخرين، فنحن نطالبه بمعجزة. وحين يتمكن من القيام بها نعترف به ونضفي عليه المجد الذي يستحقه النبي، لكن إذا فشل في القيام في ذلك، يحكم عليه بالموت. ونحن لا نطالبه بالمعجزة إلى كأوراق اعتماد له، رغم أنه يمكن القيام بها عبر الخداع أو السحر، تماماً مثلما نقبل شهادة الشهود مع أنه توجد إمكانية لليمين الكاذب. كذلك فنحن مجبرون على تقديم الطاعة لمن يؤكد أنه نبي شريطة أن يدعم مزاعمه بالمعجزات أو الأدلة، مع أن احتمالية أن يكون مدعياً تظل قائمة.

لكن حين يعلم النبي المدعي عقائد تنفي مذاهب موسى، علينا بالتالي التنكر له. وقد وضّحت هذه النقطة باستفاضة في مقدمة عملنا الضخم في تفسير المشناه، حيث ستجدون بعض المعلومات المفيدة حول المبادئ التي تشكل أساس ديانتنا، وأعمدة إيماننا. فإن قام نبي، سواء من إسرائيل أو من أمم العالم، ودعا إلى دين موسى ربينو عليه السلام وحض عليه، ولا زاد فيه ولا نقص منه، مثل إشعياء وإرميا وغيرهما، نطلب منه المعجزة. فإن أتى بآية صدقناه وكان معظماً تعظيم

الأنبياء، وإن نكل عنها قتل. وإن ما نصدقه بالمعجزة، وإن كان يمكن أن تكون بحيلة أو بسحر، كما نصدق الشهود عند الشهادة، وإن كان يمكن أنهم كذبوا. وذلك أن الله شرعنا على يد موسى وقال لنا إذا شهد شاهدين بأمر ما، فافعل بمقتضى شهادتهما واحمل محمل التصديق، وعلى أن الأمر ممكن هل صدقوا أو كذبوا. وكذلك استعبدنا أيضاً وقال إنا إذا قام مدعي نبوة، وأعطى آية وبرهان وصحت لكم حسب الظن افعل بمقتضى قوله وإن كان الأمر ممكن هل صدق أو كذب. وبين لنا أشياء لا تقبل من مدعي النبوة فيها دعوى، وهو كل أمر يؤول إلى تكذيبه. وقد بينا هذا المعنى غاية البيان في صدر تأليفنا الكبير في شرح المشناه، ومن ثم تستفاد هذه الأصول العظيمة التي هي قواعد الشرع وعمد الاعتقاد.

الشرعان

عليكم أن تعرفوا أن القاعدة القائلة إنه لا يمكن إضافة شيء ابداً إلى شرائع موسى ولا حذفه منها، تنطبق أيضاً على الشرع الشفوي، أي التفسير التقليدي المتناقل عبر الحكماء. فكونوا حذرين ويقظين كي لا يندس بينكم أي من الهراطقة، الذين أرجو أن يهلكوا بسرعة، لأنهم أسوأ من المرتدين. فرغم أن هذا البلد، كما تعرفون، هو موطن العلماء والتلاميذ والمدارس، إلا أنهم يتساهلون في الحديث الطنان، ونحن نحذر شعبنا من أخطائهم وأغلاطهم وهرطقاتهم التصادفية. أما بالنسبة لكم في هذا البلد البعيد، فرغم كونكم علماء، متفقهين في الشريعة، وأتقياء، إلا أن عددكم قليل، ونرجو من الله أن يزيد في عددكم ويعجّل في زمن التئام شملكم. وحين يقوم أي من الهراطقة لإفساد الشعب، فهم إنما يقوضون أسس إيمان الشبان فلا

يجدون لهم مخلّصاً. إحذروا منهم واعرفوا أنه مباح قتلهم برأينا لأنهم يجحدون تلك العبارة في نبوة موسى الذي أمرنا أن نعمل «بحسب القرار الذي يوجهونه إليك والحكم الذي يصدرونه لك» (تث ١٧:١١). إنهم يؤكدون إيمانهم الراسخ بنبوة موسى، مثلهم مثل العرب والبيزنطيين، لكنهم مع ذلك يدمرون شريعته ويبطلونها ويقتلون أتباعها. وكل من ينضم إليهم هو كمن يغويه. وقد رأينا أنه من الضروري لفت نظركم إلى هذه الحقائق، وتربية الجيل الشاب على هذه العقائد، لأنهم ركيزة الإيمان.

وما ينبغي أن تعرفه أنه كما لا زيادة في شريعة موسى ولا نقصان أبداً في نصوصها، كذلك في تفسيرها المروي وهو الذي رووه الحخميم، طيب الله ذكراهم، وهو التوراه الشفهية. فكونوا متحفظين متطلعين لئلا ينشب أحد المينيم ، الذين أرجو أن يفنوا سريعاً، عندكم، فيكون لكم أشد من كل إكراه على تبديل الدين، لأن هنا في هذه البلاد كما تعلموا هي بلاد حخميم وتلاميذ ومدارس وكلمتهم مطوطة، ونحن ننبه على خطاياهم وبدعهم وسخفهم مع الأحيان. وأنتم هناك في تلك القاصية، وإن كنتم حخميم وأبطال بالتوراه وبالأفعال الصالحة، فأنتم قليلي العدد، الله يكثر عددكم ويقرب وقت جميعكم وجميع ملتنا، فإن نشب واحد منهم ثم أفسد الجميع، ويغير اعتقاد النشئ، ولا يجد مخلص، فكونوا منهم حذرين، واعلموا أن دماهم مباحة لنا عندنا في مذهبنا، لأنهم مكذبي نبوة موسى ربينو القائل لنا عن الله حول ذلك الأمر في التوراه، ويزعمون المبالغة في التصديق لقوله بقحة وصلف، كما يقال الإسماعيليون والروم إنهم مصدقين لنبوته ويفسدون شريعته ويعطلونها ويقتلون معتقدها، والمرتبط بها،

هم ومضللهم سواء. فهذا ما رأينا أيضاً أنه ينبغي أنه ينبعه عليه وينبا عليه الأصغار لأنهم قاعدة اعتقاد.

حساب زمن الخلاص

كنتَ أشرتَ في رسالتك إلى حسابات زمن الخلاص وإلى رأي ح. سعاديا في المسألة. وعليك أن تعرف، بادئ ذي بدء، أن ما من كائن بشري سيستطيع يوماً أن يحدده بدقة كما صرح بذلك دانيال، «فإن الأقوال مغلقة ومختومة» (دا ٩:١٢). وقد قدم العلماء فرضيات عديدة بالفعل، إذ تخيلوا أنهم اكتشفوا التاريخ، وفق ما تم توقعه في الكتاب المقدس، «كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد» (دا ٤:١٢). ذلك يعني أنه ستكون هنالك آراء عديدة بشأن تلك المسألة. إضافة إلى ما سبق، لدينا رسالة إلهية عبر الأنبياء تفيد بأن أشخاصاً كثيرين سوف يحسبون تاريخ قدوم المشيح لكنهم سيفشلون في تأكيد موعده الدقيق. ونحن حريصون على عدم فسح المجال أمام الشك والريبة بسبب هذه الحسابات الخاطئة. فكلما طال التأجيل كلما توجب عليكم أن تزداد آمالكم اتقاداً، كما هو مكتوب، «فإنها أيضاً رؤيا للميقات، تصبو إلى أجلها ولا تكذب. إن أبطأت فانتظرها، فإنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر» (حب ٣:٢). أما ما ذكرته من أمر حساب زمن الخلاص وقول ربينو سعديا، طيب الله ذكراه فيها، فأول ما يجب أن تعلمه أن القص على التحرير لا يمكن بشري أن يعرفه أبداً، كما بين دانيال وقال، «فإن الأقوال مغلقة ومختومة» (دا ٩:١٢). وأما كثرة تصور بعض العلماء عن ذلك وتخيلهم أنهم قد أدركوه، فقد تقدم لنا الإنذار بذلك، وهو قوله، «كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد» (دا ٤:١٢)، يعني كثرة الآراء. وقد بين

الله على يد أنبيائه أن أقوام كثيرين يحسبون قصين للمشيح [زمن قدوم المسيح] وتخيب ولا تصح. ثم حذّر من الاسترابة بذلك وقال: لا يهمكم خيبة حسابهم، بل كلما زاد بطأ زيدوا به رجاء، وهو قوله: «فإنها أيضاً رؤيا للميقات، تصبو إلى أجلها ولا تكذب. إن أبطأت فانتظرها، فإنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر» (حب ٢:٣).

حسابات أخرى

تذكروا أنه لم يعرف بدقة حتى موعد نهاية السبي المصري مما أدى إلى اختلافات في الرأي، مع أن مدته كانت محددة في الكتاب المقدس، حيث نقرأ، «ويستعبدونهم ويذلونهم أربعمئة سنة» (تك ١٥:١٣). فقد حسب بعضهم حقبة الأربعمئة سنة منذ وصول يعقوب إلى مصر، وآخرون أرخوها منذ بداية عبودية إسرائيل، التي حدثت بعد ذلك بسبعين سنة، في حين ظل غيرهم يحسبونها منذ زمن القطع حيث نبّأت هذه المسألة إلى إبراهيم إلهياً. ومع مرور أربعمئة سنة على هذا الحدث، وقبل ظهور موسى بثلاثين سنة، غادرت زمرة من الإسرائيليين مصر لأنهم اعتقدوا أن السبي انتهى بالنسبة لهم. وقهرهم المصريون وذبحوهم. وهكذا كان مصير الإسرائيليين الذين بقوا صعباً كما يعلمنا حكماؤنا، معلمو تقاليدنا القومية. وكان داود قد أشار إلى الإسرائيليين المقهورين الذين أخطأوا في حساب زمن الخلاص في الآية، «إن بني إفرائيم النبّال الماهرين، في يوم القتال أدبروا» (مز ٧٨:٩).

والحقيقة أن حقبة السنوات الأربعمئة تبدأ بولادة إسحق، زرع إبراهيم، بلا منازع، وفق ما يمكن أن نصل إليه من الآية، «لأنه بإسحق سيكون لك نسل باسمك» (تك ٢١:١٢)، والآية «نسلك

سيكونون نزلاء في أرض ليست لهم، ويذلونهم ويستعبدونهم أربعمئة سنة» (تك ١٥:١٣). ومضمون هذا النص هو أنهم في السبي كانوا سيحكمونهم، يستعبدونهم، ويسيئون معاملتهم. أما السنوات الأربعمئة المذكورة في هذه الآية فهي إشارة إلى مدة السبي، وليس [فقط] إلى العبودية المصرية. وقد ظلت هذه الآية غير مفهومة حتى جاء النبي العظيم [موسى]، حيث أُدرك أن تاريخ السنوات الأربعمئة إنما يعود إلى ولادة إسحق تحديداً. نقول الآن، إنه إذا عم شك كثير كهذا بالنسبة لتاريخ التحرر من العبودية المصرية، والذي كان موعده محدداً، فكم بالحري أن يكثر الشك بالنسبة لتاريخ الخلاص الأخير، الذي أرعب تاريخه المتطاول والمرجأ رائيينا الملهمين وأفزعهم، حتى دفع بأحدهم لأن يهتف، «ألِلأبد تغضب علينا؟ ومن جيل فجيل تطيل غضبك؟» (مز ٨٥:٦). كذلك فقد أعلن إشعياء أيضاً، وهو يشير إلى السبي المتطاول، «فيجمعون كما يجمع الأسرى في الجب، ويغلق عليهم باب السجن، وبعد أيام كثيرة يفتقدون» (إش ٢٤:٢٢). ولأن دانيال أعلن أن المسألة سر عميق، حرم حكماؤنا حساب زمن الخلاص المستقبلي، أو حساب حقبة مجيء المشيح، لأن الجماهير قد ترتبك وتحتار إذا فشل المشيح في الظهور كما تم التنبؤ. وقد دعا الحاخامون الله أن يخيب فأل أولئك الذين يلتمسون تحديد حقبة مجيء المشيح بدقة وأن يقضي عليهم، لأنهم عقبة أمام الشعب، وهذا هو السبب الذي لأجله تلفظوا باللعنة القائلة، «عل حاسبي الخلاص الأخير يخفقون» (سنهدرين ٩٧ب).

واعلم أن ولو القص الذي بيّن الله مدّته، أعني الشتات في

مصر، وهو قوله «ويستعبدونهم ويذلونهم أربعمئة سنة» (تك ١٢:١٥)، ما علم حقيقته ووقع فيه الإشكال. أقوام ظنوا أنها أربعمئة سنة من وقت نزول يعقوب لمصر، واقوام ظنوا أنها من ابتداء العبودية، وهي سنة سبعين بعد نزول يعقوب لمصر، وأقوام ظنوا أنها في وقت وقع هذا الخطاب، وهو موعد بين القطعين. فلما تم أربعمئة سنة لموعد بين القطعين، خرج من مصر وبعض إسرائيل قبل قيام موسى بثلاثين سنة، وظنوا أنه قد تم الشتات، فهلكوا وقتلوهم المصريين، واشتد استعبادهم.

هكذا أعلمونا الحخميم، طيب الله ذكراهم، العالمين بآثار الملة، وعن أولئك الذين ظنوا الخلاص فغلبوا قال داود عليه السلام «إن بني إفرائيم النبَّال الماهرين، في يوم القتال أدبروا» (مز ٩:٧٨). والقص الحق كان أربعمئة سنة من وقت ولد إسحق الذي هو زرع إبراهيم، كقوله تعالى «لأنه بإسحق سيكون لك نسل» (تك ١٢:٢١). وقال تعالى «نسلك سيكونون نزلاء في أرض ليست لهم، ويذلونهم ويستعبدونهم أربعمئة سنة» (تك ١٣:١٥). وفي حال الاستيطان في بلد غريب سيتولون عليهم ويستخدمونهم ويشقونهم، هكذا هو تأويل الفسوق. فكانت الأربعمئة سنة الاستيطان في بلد غريب لا للعبودية. ولم يتبين ذلك حتى بعث النبي العظيم، فوجد من يوم ولد اسحق إلى أن خرجوا إسرائيل من مصر أربعمئة سنة سوياً. فإذا كان هذا في القص الذي بينت مدته، ناهيك في هذا القص الطويل الذي راع الأنبياء وخوفهم طوله وامتداده، حتى قال النبي على طريق الاستفهام «أللأبد تغضب علينا؟ ومن جيل فجيل تطيل

غضبك؟» (مز ٨٥:٦). وقال إشعياء واصفاً طول هذا الشتات أيضاً «فيجمعون كما يجمع الأسرى في الجب، ويغلق عليهم باب السجن، وبعد أيام كثيرة يفتقدون» (إش ٢٤:٢٢). وقد بين لنا دانيال شدّة غموض هذا القص وخفائه. ولذلك نهوا الحخميم، طيب الله ذكراهم، عن حساب القصيم وضرب الأجل لمجيئ المشيح، لأنها تعثر العوام وتوهمهم إذا جاء ذلك الزمان ولم يجيء، وهو قولهم «عل حاسبي الخلاص الأخير يخفقون» (سنهدرين ٩٧ب)، لأنهم وهقوا الناس، ولذلك دعوا عليهم بأن يخيب الله صوابهم ويفسد تدابيرهم.

أما بالنسبة لحسابات ح. سعاديا المسيانية، فهنالك ظروف مخففة بالنسبة لها رغم أنه كان يعرف أنها غير مسموحة. فقد كان يهود عصره محتارين وضائعين. ولربما كانت الديانة الإلهية اختفت تقريباً لو أنه لم يشجع الجبناء، وينشر وينثر ويذيع بكلمة الفم والقلم معرفة مبادئها الأساسية. وكان آمن، بكل جدية، أنه عبر الحسابات المسيانية، كان باستطاعته إلهام الجماهير بأمل للحقيقة. والحق أن كل أفعاله كانت لأجل السماء. وهكذا، بسبب نزاهة دوافعه، التي أشرنا إليها، يجب أن لا ننتقده بسبب حساباته المسيانية. ونحن نعتذر لربينو سعديا، طيب الله ذكراه، ونقول إن ما حمله على ذلك، لعلمه أن الشريعة حذرت عن ذلك، كون أهل عصره كثرت فيهم الآراء والفسادات، ويكاد أن يذهب دين الله لولاه، طيب الله ذكراه، لأنه قد أظهر منه ما خفا وشد منه ما ضعف وبثه ونشره ونضده بلسانه وقلمه. ورأى في جملة رومه أن يضم جمهور الناس بحساب القصيم ليؤكد رجاهم للحق، وهو، طيب الله ذكراه، كل

أعماله لاسم السماء. وما خيبة القصيم الذي عمل طعن فيه إذ ،اطنة الحال ما وصفت لكم.

مسألة التنجيم

ألاحظ أنك تميل إلى الإيمان بالتنجيم وبتأثير إقتران الأفلاك الماضية والمستقبلية على قضايا البشر. عليك أن تطرد هذه الانطباعات عن افكارك. طهر أفكارك كما يطهر المرء الثياب الوسخة. فالعلماء المتمكنون سواء أكانوا متدينين أم لا، يرفضون الإيمان بحقيقة هذا العلم. ويمكن رفض فرضياته ببراهيم حقيقية قوية الأسس. لكن ليس هذا هو الموضع المناسب للدخول في مناقشتها. مع ذلك، إنتبه جيداً إلى ما يقوله الكتاب المقدس بشأن المنجمين. فقد تنبأ المنجمون قاطبة عندما وصل موسى إلى القيادة بأن أمتنا لن تتحرر من العبودية أبداً، ولن تحصل على استقلالها، لكن القدر تبسم لإسرائيل، فقد ظهر أرفع الكائنات البشرية وخلصهم في الوقت بالذات الذي افترض أنه سيكون الأكثر شؤماً عليهم. أكثر من ذلك، فقد ضربت مصر أوبئة في الوقت بالذات الذي تنبأ المنجمون بأنه سيكون فترة مناخ صحي، وفرة، وازدهار لكل سكانها. وإشعياء يشير إلى فشل نبوءتهم حين يقول، «أين حكماؤك! ليخبروك وليعلموا، ماذا قضى رب القوات في مصر» (إش ١٩:١٢).

كذلك فقد كان للمعلمين، المنجمين، والكهان رأي واحد بأن إدارة نبوخذ نصر الشرير، هي علامة لبداية حقبة ازدهار دائم. لكن الواقع أن سلالته انقرضت وقضي عليها، مثلما تنبأ بذلك إشعياء بوحي من الله. فقد سخر منهم على ادعائهم المعرفة المسبقة، وواصل سخريته من الحكومة التي صورت لذاتها أنها تمتلك شعباً

حكيماً متمكناً من المستقبل، كما نقرأ، «فليقف المنجمون الناظرون في الكواكب، المعرفون على رؤوس الشهور، وليخلصوك مما هو آتٍ عليك» (١٣:٤٧).

وأما ما رأيتك تنزع إليه من أمور النجوم والقرانات التي كانت والتي تنتظر، فهذا أمر أزيله عن ذهنك واغسل وهمك منه كما تغسل الثياب الوسخة من الدنس، لأنها أمور لا حقيقة لها عند العلماء الكاملين ولو من غير المتشرعين فناهيك المتشرعين. وبطلانها بين ظاهر بحجج عقلية يقينية ما هذا موضع ذكرها، لكن اسمع طرف مما في الشريعة من ذلك.

اعلم أن موسى ربينو، عليه السلام، عند قيامه كان المنجمين قد أجمعوا أن هذه الملة لا تسعد ولا تستقل مما هي فيه أبداً. وفي الوقت الذي ظنوا أنه غاية نحوسها جاءها السعد وقام فيها نخبة النوع الإنساني وفداها. وعندما أجمع المنجمين أن ديار مصر يصح هواها في ذلك الزمان وتخصب، ويسعدوا أهلها غاية السعادة، نزلت بهم الضربات. قال إشعياء واصف لهذه الأحوال «أين حكماؤك! ليخبروك وليعلموا، ماذا قضى رب القوات في مصر» (إش ١٢:١٩). وكذلك مملكة نبوخد نصر الشرير، عندما أجمعوا علماء ومنجمون وكل من يدعي تقدمة المعرفة فيها أن هذا ابتداء سعادتهم وأن ولايتهم مستمرة، حينئذ انقرضت الدولة وبادت كما تواعدها الله. قال أيضاً إشعياء يضحك منهم في ذلك ويهزء بهم في ادعائهم تقدمة المعرفة ومن المملكة نفسها التي تظن أن عندها علماء يستنفع بعلمهم، قال «فليقف المنجمون الناظرون في الكواكب، المعرفون على رؤوس الشهور، وليخلصوك مما هو آتٍ عليك» (١٣:٤٧).

النبوءات حول المشيح

وهم مخطئون أيضاً في نبوءاتهم المتعلقة بالمسيح، عجل الله قدومه. لأنه في حين يعتقد الأغيار أن أمتنا لن تشكل حكومة مستقلة أبداً، بل لن تتجاوز الوضع الراهن، ويتفق كل المنجمين والكهان والمتنبئين حول هذا الرأي، سوف يبرهن الله ذيف آرائهم واعتقاداتهم، وسوف يأمر بقدوم المشيح. ومن جديد فإن إشعياء هو الذي يشير إلى هذا الحدث في الآية: «مبطل آيات الضاربين بالفأل، ومحمق العرافين، وراد الحكماء إلى الوراء، ومحول علمهم إلى غباوة. مؤيد كلام عبده، ومتمم مقاصد رسله، القائل لأورشليم: ستعمرين، ولمدن يهودا: ستُبنين، وأنا أقيم المتهدم منها» (٤٤: ٢٥ - ٢٦). وهذا هو الرأي الصحيح الذي يجب أن يحمله كل إسرائيلي، دون أن يلقي بالاً لاقتران النجوم، كبيرها أو صغيرها. وكذلك يكون الأمر في

النبوءات المتعلقة بالمشيح، عجل الله قدومه، فإنه إذا ظنت الملل أن هذه الملة لا ملك لها يكون أبداً، ولا سلطان، ولا ينصرون مما هم فيه، وأجمع على ذلك جميع المنجمين والكهان وأصحاب القوى الفلكية يخيب الله ظنونهم واعتقاداتهم الغير صحيحة ويظهر المشيح قال إشعياء مبين لهذا المعنى «مبطل آيات الضاربين بالفأل، ومحمق العرافين، وراد الحكماء إلى الوراء، ومحول علمهم إلى غباوة. مؤيد كلام عبده، ومتمم مقاصد رسله، القائل لأورشليم: ستعمرين، ولمدن يهودا: ستُبنين» (٤٤: ٢٥ - ٢٦). هذا هو الاعتقاد الصحيح الذي ينبغي أن يعتقده الإسرائيلي ولا تلتفت لقول من قال قران صغير أو قران كبير.

الوضع العلمي لليهود والنجوم

لقد لفت نظري في عبارتك القائلة إنه في بلدك لا ينمو العلم إلا

قليلاً، والتعليم لا يزدهر، وهو ما تعزوه إلى آثار الاقتران في الثلاثية الأرضية. تذكر أن هذه الحالة المتدنية للعلم والتعليم غير خاصة ببلدك، بل إنها منتشرة على نطاق واسع في إسرائيل اليوم. والحقيقة أن إحدى الآيات في إشعياء تتضمن إعلاناً إلهياً حول هذه الأمور وتقول، «لذلك هاءنذا أعود. فأصنع بهذا الشعب عجباً عجاباً، فحكمة حكمائه تزول، وعقل عقلائه يحتجب» (إش ١٤:٢٩).

ليس مردّ هذا الحديث الثلاثية الأرضية أو النارية، وذلك كما تبرهن الحقيقة القائلة، إن سليمان، ملك إسرائيل، عاش أثناء ثلاثية أرضية ومع ذلك فالكتاب المقدس يشهد أنه «كان أحكم من جميع الناس» (١ مل ٥:١١). كذلك فقد اكتشف إبراهيم، عليه السلام، المسمّى ركيزة العالم، العلة الأولى للعالم بأسره، وبرهن على الأهمية المركزية لوحدانية الله بالنسبة لكل الجنس البشري. وهو وإسحق ويعقوب، ثلاثتهم يحملون عرش المجد في قلوبهم، وباستخدام استعارة مجازية حاخامية نقول «الآباء عربات» (تك راباه ٧:٨٢)، والتي بدورها أوحت بها الآية «ثم ارتفع الله عنه» (تك ١٣:٣٥). والمعنى أنهم توصلوا إلى مفهوم حقيقي للألوهة. ونقول الآن إن الآباء الثلاثة عاشوا أثناء الثلاثية الأرضية. وكذلك رأيتك تقول إن العلم في بلدكم قليل وانقطعت منكم الحكمة، وجعلت علة ذلك كون القران في المثلثة الترابية. فلتعلم أن هذا عارض ما هو خاص في بلادكم، بل هو اليوم في جميع إسرائيل، أعني انقطاع العلماء وضعف المعارف، وعلة ذلك الحقيقة هو ما توعدنا به تعالى على يد إشعياء وهو قوله «لذلك هاءنذا أعود. فأصنع بهذا الشعب

عجباً عجاباً، فحكمة حكمائه تزول، وعقل عقلائه يحتجب» (إش ١٤:٢٩)، وليس علته لا مثلثة ترابية ولا مثلثة نارية، وبرهان ذلك أن سليمان ملك إسرائيل الذي شهد الكتاب فيه «كان أحكم من جميع الناس» (١ مل ١١:٥) كان في وسط المثلثة الترابية. وكذلك إبراهيم عليه السلام الذي هو ركيزة العالم، وهو الذي أبان عن العلة الأولى في جميع العالمين وركز قاعدة التوحيد لجميع الناس، وكذلك إسحق ويعقوب الذين ثلاثتهم هم حملة عرش المجد بقلوبهم التي أدركته حقيقة، كما قالوا «الآباء واأسفاه واأسفاه عربات» (تك راباه ٧:٨٢) التي هي تثنية [شرح] للآية «ثم ارتفع الله عنه» (تك ١٣:٣٥)، هؤلاء الآباء ثلاثتهم إنما كانوا وسط مثلثة ترابية ايضاً.

تفاصيل تنجيمية

سوف تصبح هذه المسألة واضحة إذا وضعنا في أذهاننا الحقائق التالية. هنالك أولاً الإقتران الصغير، أي التقاء زحل والمشتري، الذي يحصل مرة واحدة فقط كل عشرين سنة شمسية تقريباً. وتواصل هذه الإلتقاءات حدوثها إثنتي عشرة مرة خلال الثلاثية ذاتها، مغطية حقبة من مئتين وأربعين سنة. ثم تحدث الإلتقاءات في الثلاثية الثانية، والتي تحصل كل مئتين وأربعين سنة شمسية. وبحسب هذا الحساب فسوف تحصل فترة انقطاع من تسعمئة وستين سنة بين الإلتقائين الأول والثاني للكوكبين في النقطة ذاتها من دائرة النجوم. وهذا يدعى الإلتقاء الكبير، وهو يحدث مرة واحدة كل تسعمئة وستين سنة. وهذا هو الوقت الذي يجب أن يمر بين الإلتقائين الأول والثاني لزحل والمشتري في الدرجة ذاتها من برج

الحمل. وإذا ما أعدت، فسوف تفهم ما أقوله بأن إبراهيم وإسحق ويعقوب وكذلك داود عاشوا أثناء الثلاثية الأرضية. أما هدفي من الخوض في التفاصيل فقد كان تبديد أية أوهام لديك بكون الثلاثية تمارس أي تأثير على المسائل البشرية. وتبين جميع ذلك بما قد علم أن القران الأصغر، وهو قران زحل والمشتري، منذ يجتمعا في أي موضع اجتمعا إلى أن يجتمعا ثانية مرة، ذلك عشرين سنة شمسية بالتقريب. ولا يزالان يتقارنان في مثلثة واحدة بعينها إثني عشر قران، وتكون مدة إقامة القرانات في مثلثة واحدة بعينها مائتين وأربعين سنة. ثم ينتقل قرانها لمثلثة أخرى، وهذا هو الذي يسمى القران الأوسط، وهو قران الانتقال الكائن لكل مائتين وأربعين سنة شمسية، فيكون على هذا النظام مدة يجتمع هذين الكوكبين في درجة ما - أي درجة كانت - إلى أن يجتمعوا في تلك الأعظم الكائن كل ألف سنة إلا أربعين سنة، وهو منذ يجتمع زحل والمشتري أول دقيقة من الحمل إلى أن يجتمعوا ثانية. فإذا قهقرت التاريخ إلى خلف تبين لك ما ذكرته من كون إبراهيم وإسحق ويعقوب في مثلثة ترابية، وكذلك داود وسليمان ابنه. وإنما بينت لك ذلك ليزول عنك الوهم، ولا تظن أن لمثلثة في هذا سبب.

أخطاء تنجيمية أخرى

بعد ذلك تكتب أن بعض الشعب حسب الإلتقاء القادم وقرر أن الكواكب السبعة سوف تلتقي كلها في أحد أبراج دائرة النجوم. وهذا التنبؤ غير حقيقي، لأنه لن يحدث أي تقابل للكواكب السبعة في الالتقاء التالي، ولا في الالتقاءات التي تتلوه. فحدث كهذا لن يحدث أبداً حتى في عشرة آلاف سنة، كما يعرف المطلعون على قانون التساوي الفلكي. والحق أن هذا

حساب شخص جاهل، كما تبرهن على ذلك ملاحظاته الأخرى، التي قمت بإيرادها، والتي تفيد بحدوث فيضان هواء وغبار. وضروري لك أن تعرف أن هذه التأكيدات وما يشبهها مختلقة وكاذبة. ويجب أن لا تصدق عبارة لأنه تجدها في أحد الكتب، فقليلاً ما يكبح المراوغ قلمه مثلما هي الحال مع لسانه. فغير المثقفين وغير المتعلمين يقتنعون بصدق عبارة لمجرد وجودها مكتوبة، مع أن دقتها يجب أن تثبت بطرق أخرى. وكذلك قولك إن أقوام قوموا القران المستأنف فوجدوا السبعة الكواكب كلها تجتمع في برج واحد، هو قول غير صحيح الذي قال لك هذا. وليس ثم قران سباعي بوجه لا في القران المستأنف ولا في مجموعة قران تأتي بعده. وهذا أمر لا يصح بوجه، ولا في عشرة آلاف من السنة، لمن يعلم حقيقة التعديل. وإنما هذا كلام رجل جاهل بالتقاويم، كما وصفت من جهله أنه قال يقع طوفان من هواء وتراب. والذي ينبغي لك أن تعلمه أن هذه الأقاويل وشبهها هي أقاويل ذور وكذب، ولا يكون عندك دليل صحتها كونها توجد مكتوبة في الكتب، لأن الكذاب كما يكذب بلسانه كذلك يكذب بقلمه، ولا يمتنع عليه ذلك. والجهال الغبيين هم الذي يصير عندهم دليل صحة القول كونه مكتوباً وليس بهذا يتحقق الآراء إلا بوجه آخر.

عظات وتوجيهات

تذكّر أن الشخص الأعمى يستسلم للفرد الذي عنده قدرة الإبصار كي يوجهه وهو يعرف أنه يفتقد القوّة لتوجيهه بأمان؛ وأن الشخص المريض غير الحاذق في فن الطب، ويتعامل على حد سواء مع الأمور المؤذية لصحته أو المفيدة لها، يذعن لإرشاد طبيب ما ويطيعه بشكل مطلق. كذلك تماماً فمن

الأساسي بالنسبة لعامة الناس أن يذعنوا دون انحراف للأنبياء، الذين كانوا رجالاً ذوي تبصر حقيقي، وأن يثقوا بهم بالنسبة للمسائل المتعلقة بحقيقة تعليم بعينه أو خطئه. ويعقبهم في الأهمية الحكماء الذين درسوا نهار ليل عقائد إيماننا ومذاهبه وتعلموا التمييز بين الأصيل والزائف.

واعلم أن كما يسلم الأعمى قوده لبصير يمشيه، لما علم أن ليس له عينين تدل على طريق السلامة، وكما يسلم الجاهل بالطب تدبيره لطبيب، لكونه يجهل الأمور المهلكة والأمور المخلصة، ويأخذ منه كل ما يقول بقبول، كذلك ينبغي لجمهور العالمين أن يسلموا قودهم للأنبياء ذووا الأبصار الحقيقية ويقتصرون على ما يعلموهم من أن الرأي الفلاني صحيح والرأي الفلاني سقيم، وبعد الأنبياء العلماء الباحثين ليلهم ونهارهم عن الآراء والمذاهب والاعتقادات حتى يعلمون صحيحها من سقيمها.

بعد هذا العرض يمكنك أن تثق بقولي إن عباراتك التي أوردتها سابقاً غير دقيقة وهذا ينطبق على حد سواء على الآراء المشابهة التي سمعتها في أحد الحوارات أو صادفتها في الكتب، لأن مؤلف أقوال كهذه هو إما جاهل أو مشعوذ، أو أنه يلتمس تدمير الشريعة والقضاء على حصونها. أتعي وقاحة هؤلاء الناس الذين يؤكدون أنه سيكون هناك فيضان هواء وغبار ونار كي يخدعوا الآخرين ويضللوهم حتى يعتقدوا أن الطوفان في زمن نوح إنما مرده فقط إلى تركيز الماء، فهو لم يكن عقاباً إلهياً بسبب لا أخلاقية ذلك الزمان، كما يقول بوضوح في الكتاب المقدس الذي يهدينا ضد الخطأ والمغالطة. كذلك فإن سدوم والمدن الأخرى لم تدمر بسبب كفر

سكانها وشرهم، وهو ما يناقض مباشرة الكتاب المقدس الذي يقول، «أنزل وأرى هو فعلوا أم لا بحسب ما بلغني من صراخ عليها» (تك ١٨:١٢). وهكذا فكل ما يحدث في هذا العالم عبر التدخل الإلهي، يقولون إنه النتيجة الحتمية للاقتران بين الكواكب.

وبعد هذه المقدمة فلتسمع مني أن كل ما سمعته أو تجده مكتوب من هذه الأقاويل وأشباهها هي أمور لا حقيقة لها، بل قالها إما جاهل أو ممخرق، أو من يروم نقض الشريعة وهد أسوارها. ألا ترى قحمهم في قولهم طوفان هواء وطوفان التراب، وهكذا يقولون طوفان نار. هذا كله تخيل وخديعة، حتى يوهمون أن طوفان نوح إنما كان من أغلال [قطرات] مائي، وأنه لم يكن من الله على جهة العقاب لأهل الأرض لفسقهم كما بين في كتابه المرشد من الضلال، وعلى هذا النحو لم تقلب سدوم أنهارهم لكفرهم وجورهم كما بين وقال «بحسب ما بلغني من صراخ عليها الخ» (تك ١٨:٢١). وكذلك كل فعل وفعل يصدر من الله في العالم يكون أمر لازم عن القرانات.

لقد أكدوا على حقيقة فرضياتهم كي يقوضوا أسس مبادئ ديانتنا وكي يعطوا لغرائزهم وعواطفهم الحيوانية سلطاناً حراً ضد تلك الآراء في الكتاب المقدس وهو يعني ما يلي: «إذا ثرتم ضدي بحيث أجلب عليكم البلايا عقاباً لكم على أفعالكم السيئة، لكنكم رحتم تعزون نكساتكم إلى الحظ وليس إلى إثمكم، فسوف أزيد عندئذ عذاباتكم وأجعلها أكثر ألماً ». وهذا هو مغزى الآية في «فصل اللوم »، أي حين ستمشون معي «بقري» ، سوف أمشي معكم في غضب «القري» (لا ٢٦: ٢١ ،

٢٤). و «قري» تعني هنا ، الحظ ، المصادفة. والكتاب المقدس يعني بذلك أنه إذا نظرتهم إلى عذابي كحدث تصادفي، فسوف أجلب عليكم أقسى البلايا «سبع مرات على خطاياكم» (لا ٢٦:٢٤). والإشارات المشار إليها سابقاً هذه توضح باستفاضة أن قدوم المشيح لا يخضع بأي شكل لتأثير النجوم.

هذه هي المقدمات الذي يريدون يقدمونها ليهدوا قواعد الشريعة ليتسيبوا أهواءهم ونزوع نفوسهم البهيمية كالبهائم والأنعام. وعن هذه الآراء حذر تعالى في كتابه وأعلمنا وقال إنكم إذا عصيتم وأنزلت بكم الآفات جزاء بما فعلتم، إن اعتقدتم نزولها أنه أمر اتفق بالعرض، وأن ليس سببه كونكم عصيتم، فسأزيدكم من ذلك العرض وأضاعفه، وهو قوله في العقاب «وإذا عاديتموني في سيركم معي» (لا ٢٦:٢١)، وقري هو العرض والاتفاق، فقال إن جعلتم عقابي اتفاق أتفق بالعرض فنزيدكم من شديد «سبعة اضعاف على خطاياكم» (لا ٢٦:٢٤). فمن جميع ما تقدمت لك تتبين لك أنه لا يتعلق أمر المشيح بأحكام النجوم بوجه من الوجوه.

حكاية أمثولية

لقد قام أحد عقولنا الثاقبة في إقليم الأندلس بحساب تاريخ الخلاص النهائي عن طريق التنجيم وتنبأ بقدوم المشيح في سنة بعينها. واستخف كل عملائنا المتميزين بإعلانه، وشككوا بما فعل وقرعوه بحدة على ذلك. لكن القدر القاسي تعامل معه بأقسى مما كان باستطاعتنا فعله. ففي الزمن بالذات الذي افترض أنه سيشهد ظهور المشيح، ظهر قائد ثائر في المغرب وأصدر قراراً يجبرنا على تغيير ديننا كما تعلمون جميعاً. وأثبت الحدث بأنه كارثة عظيمة لأنصار هذا المتنبئ. والحقيقة أن

المصاعب التي عرفها شعبنا في الشتات مسؤولة عن هذه التهورات، فالغريق يتعلق بقشة.

وقد قام أحد حذاقنا ببلاد الأندلس فعمل قص من جهة صناعة النجوم، ووقت أن المشيح يظهر في السنة الفلانية، فما من واحد من علمانا وفضلانا إلا وسخف رأيه، وعجزه فيما فعل، وونبه غاية التأنيب. والوجود فعل به أشد وأعظم مما فعلنا نحن، لأن في الوقت الذي ذكر أنه يظهر المشيح ظهر المخالف من جهة المغرب وحكم بتبديل الدين قسرياً الذي وصلكم. وهذه غاية فضيحة أهل هذا الشأن، وإنما يلجئنا إلى هذا كله شدة الشتات علينا، والغريق بكل حبل يتعلق.

الأمل

لذلك، يا أخوتي في الدين، «تشدّدوا ولتتشجع قلوبكم، يا جميع الذين يرجون الرب» (مز ٣١:٢٥). ليقو واحدكم الآخر، ويؤكد إيمانه في المنتظر، حتى يظهر بسرعة في وسطكم. «قووا الأيدي المسترخية وشددوا الركب الواهنة» (إش ٣٥:٣). تذكروا! فإشعياء، بشير خلاص إسرائيل، تنبأ بأن طول مدة النفي ومحنه سوف تكره العديد من أبناء شعبنا على الاعتقاد بأن الله تخلى عنا وهجرنا (أبعد الله ذلك)، كما نقرأ: «قالت صهيون: تركني الرب، ونسيني سيدي» (٤٩:١٤). لكن التأكيد الإلهي أعطي بأن هذا خطأ، ونستشهد نحن بما يلي، «أتنسى المرأة رضيعها، فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى ولو نسيت النساء، فأنا لا أنساك» (إش ٤٩:١٥). والحقيقة أن النبي الأول كشف عن الوعد الإلهي، حيث يقال: «لأن الرب إلهك إله رحوم، لا يهلك ولا يهلكك ولا ينسى عهد آبائك الذي أقسم لهم به» (تث ٤:٤١). «يرجع الرب إليك أسراك ويرحمك

فيجمعك من وسط الشعوب كلها حيث شتتك الرب إلهك» (تث ٣:٣٠).

لكن يا أخوتي اثبتوا، «تشدّدوا ولتتشجع قلوبكم، يا جميع الذين يرجون الرب» (مز ٢٥:٣١)، وكذلك تثبت بعضكم بعضاً، ومكنوا اعتقاد هذا المنتظر، عجل الله قدومه، في أنفسكم، «قووا الأيدي المسترخية وشددوا الركب الواهنة» (إش ٣:٣٥). واعلموا أن الله قد أعلمنا على يد بشير الملة إشعياء أنه مما يطول بنا الشتات ويشتد يتوهم أكثرنا أن الله تعالى تركنا وتخلى بقدرته عنا تعالى عن ذلك. ثم شهد على نفسه أنه لا يتركن ولا يحملن، وقال، «قالت صهيون: تركني الرب، ونسيني سيدي» (١٤:٤٩)، ثم جاوب وقال «أتنسى المرأة رضيعها، فلا ترحم ابن بطنها؟ الخ» (إش ١٥:٤٩). وعلى يد الرسول الأول أعلمنا الله ذلك وقال «لأن الرب إلهك إله رحوم، لا يهلك ولا يهلكك» (تث ٤١:٤). وقال «يرجع الرب إليك أسراك» (تث ٣:٣٠).

المشيح المنتظر والإسلام

إن إحدى المقولات الأساسية، يا أخوتي، في إيمان إسرائيل، هي أن المخلص القادم لشعبنا سوف يقوم من أرومة سليمان بن داود. وسوف يلم شمل أمتنا، يجمع منفيينا، يخلصنا من خزينا، يعلن الديانة الحقة، ويقضي على أعدائه، كما يقال بوضوح في الكتاب المقدس، «أراه وليس في الحاضر، أبصره وليس من قريب. يخرج كوكب من يعقوب، ويقوم صولجان من إسرائيل. فيحطم صدغي موآب، وجمجمة جميع بني شيت. أدوم يكون لهم ميراثاً، وسعير الأعداء ملكاً، وإسرائيل يعمل قوته» (عد ٢٤: ١٧ – ١٨).

سوف يرسله الله لأجل إسرائيل في زمن كارثة عظيمة وبلية مؤلمة، كما تتنبأ الآية، «سوف لن يكون هنالك باق، مغلقاً أو متروكاً حراً» (تث ٣٢:٣٦). وعند ظهوره سوف يحقق كل الوعود التي قدمت لحسابه. وكان نبي متأخر قد أشار أيضاً إلى المحن المسيانية حين قال، «من الذي يحتمل يوم مجيئه» (مل ٣:٢). وهذا فهم مناسب لمقولة الإيمان هذه. وهذه يا أخوتي قاعدة عظيمة من قواعد الاعتقاد الإسرائيلية أنه لا بد من قائم يقوم من نسل سليمان بن داود خاصة، يجمع كلمتنا ويضم عارنا وجلوتنا، ويظهر دين الحق ، ويهلك كل من خالفه، كما وعدنا الله في التوراه في قوله «أراه وليس في الحاضر، أبصره وليس من قريب الخ. أدوم يكون لهم ميراثاً،» (عد ٢٤: ١٧ - ١٨). وأن وقت ظهوره لوقت عظيم، شديد الصعوبة على الملة، كقوله «سوف لن يكون هنالك باق، مغلقاً أو متروكاً حراً» (تث ٣٢:٣٦). وحينئذ يظهره الله فيفعل ما وعد به. قال النبي مستعظم لوقت ظهوره «من الذي يحتمل يوم مجيئه» (مل ٣:٢). هذا هو الصحيح الذي يعتقد.

من النبوءات عند دانيال وإشعياء وكلام حكمائنا يتضح أن قدوم المشيح سوف يحدث بعد زمن يعقب التمدد الشامل للإمبراطورية الرومانية وللحكم العربي، الذي هو مسألة فعلية اليوم. وهذه حقيقة لا يطالها تساؤل أو شك. فدانيال في القسم الأخير من رؤياه يلمح إلى مملكة العرب وظهور محمد، ثم قدوم المشيح. كذلك فقد أعلن إشعياء أن قدوم المشيح سوف يحدث بعد ظهور المجنون، وذلك في الآية «رجل يركب حماراً، رجل يركب جملاً، ورجلان يركبان على الخيول» (إش ٢١:٧). نقول الآن، إن «الرجل

الذي يركب الحمار» هو إشارة رمزية إلى المشيح كما يتضح من آية أخرى تصفه بأنه «وضيعاً وراكباً على حمار» (زك ٩:٩). وهو سيعقب «الرجل الراكب الجمل »، الذي هو المملكة العربية. أما عبارة «رجلان يركبان الخيول» فهي إشارة إلى المملكتين الرومانية والعربية على حد سواء. والتفسير المشابه لرؤيا دانيال المتعلقة بالصورة والوحوش صحيح ولا يطاله الشك. وهي استنتاجات مستمدة من المعنى الواضح للنص.

أما وقت ذلك فقد تبين من جميع كلام دانيال وإشعياء ومن كل ما ذكروه الحخميم أنه يقوم عند امتداد ملك الروم والعرب في الأرض على ما هو اليوم، وهذا ما لا شك فيه ولا ريب. وأن دانيال آخر من وصف ملك إسمعيل وقيام فلان وأعقبه بميئ المشيح، وكذلك إشعياء بين أن الدليل على مجيئ المشيح هو قيام المجنون، وهو قوله «رجل يركب حماراً، رجل يركب جملاً، ورجلان يركبان على الخيول» (إش ٢١:٧). يقول إن راكب الحمار الذي هو المشيح كقوله «وضيعاً وراكباً على حمار» (زك ٩:٩) إنما يجيئ بعقب قيام راكب الجمل وهو ملك العرب. وقوله أزواج فرسان إزدواج الملتين وهم أدوم وإسمعيل. وهكذا يبيّن بياناً لا شك فيه من منام الصورة ومن منام الوحوش المذكورة في دانيال. وهذه أمور تظهر من مجرد النص.

حسابات مسيانية أخرى

لا يمكن معرفة التاريخ الدقيق لقدوم المشيح. لكن لدي تقليد إستثنائي أخذته عن والدي، والذي أخذه بدوره عن والده، يرجع إلى أجدادنا الأوائل الذين نفوا من القدس، والذين ذكرهم النبي في الآية، «ومجلوو أورشليم الذين في سفارد» (عو ٢٠).

وبحسب هذا التقليد فإنه في نبوءة بلعام توجد إشارة خفية إلى تجدد النبوة في إسرائيل. وبالمناسبة يمكن القول إن هنالك آيات أخرى في التوراة تتضمن تلميحات سرية إضافة إلى معناها البسيط. فعلى سبيل المثال، إن كلمة «wdrردو» في قول يعقوب لأولاده « `hm wdr ردو شماه» («أنزلوا إلى هناك» (تك ٤٢:٢))، لها القيمة العددية ٢١٠، وهي تتضمن إشارة إلى زمن إقامة إسرائيل في مصر. كذلك ايضاً فإن عبارة موسى معلمنا، «إذا ولدت بنين وبني بنين، وشختم في الأرض» (تث ٤:٢٥)، تجسد إشارة إلى زمن بقاء إسرائيل في أرض فلسطين، منذ تاريخ وصولهم إلى السبي في أيام يواقيم، والذي كان ثمانمئة وأربعين سنة، وهو ما يطابق القيم العددية للكلمة tn`wnw! ف ن و طيب الله ذكراهم ن ت م. ويمكن إيراد آيات أخرى كثيرة مشابهة.

إذا ما عدنا إلى نبوءة بلعام نقول، إن آية «ففي وقته يقال ليعقوب وإسرائيل ما يفعل الله» (عد ٢٣:٢٣)، تتضمن تلميحاً خفياً إلى زمن إعادة النبوة إلى إسرائيل، فالعبارة تعني أنه بعد مرور وقت مستقطع يعادل الزمن الذي مر منذ أيام الخليقة الستة إلى يوم بلعام، سوف يخبر الراؤون إسرائيل من جديد ماذا يفعل الله. وبلعام تلفظ بنبوءته في السنة الثامنة والثلاثين بعد الخروج والتي تطابق السنة ٢٤٨٥ بعد خلق العالم، لأن الخروج حدث في بداية عام ٢٤٤٨. وبحسب تفسير هذا التسلسل التاريخي، سوف تعاد النبوة إلى إسرائيل عام ٤٩٧٠ بعد خلق العالم. ولا شك أن عودة ظهور النبوة في إسرائيل هي إحدى الآيات الدالة على اقتراب العصر المسياني كما يصرح الكتاب المقدس، «فيتنبأ بنوكم وبناتكم... وأجعل الآيات في السماء

والأرض... قبل أن يأتي يوم الرب العظيم» (يؤ ٣: ١، ٣، ٤). وهذا هو أكثر الأحاديث أصالة المتعلقة بقدوم المشيح. وقد ذُكِّرنا وحُظِر علينا بدقة إشاعته للخارج، إلا إذا كان بعض الشعب يعتبر على نحو غير ملائم أن المسألة ذات أهمية ثانوية. وكنا أخبرناك لتونا حول ذلك لكن الله يعرف الحقيقة أفضل من الجميع.

وأما تحقيق الوقت على التحرير فلا يعلم، لكن عندنا رواية غريبة أرويها عن أبي عن جدي عن أبيه عن جده طيب الله ذكراهم، هكذا من أول جلوتنا من أورشليم كما شهد النبي وقال «ومجلوو أورشليم الذين في سفارد» (عو ٢٠)، وهي أن في نصوص نبوة بلعام نص فيه إشارة إلى رجوع النبوة في إسرائيل بعد انقطاعها. لأن قد جاء في التوراة نصوص وإن كان الغرض بها معني ما يكون فيها إشارة لمعنى آخر، نحو قول يعقوب لأولاده «ردوا شماه [أنزلوا إلى هناك]» لأنا أقمنا في مصر عدد مائتين وعشر سنين، وكذلك قول موسى ربينو «إذا ولدت بنين وبني بنين، وشختم في الأرض» (تث ٤:٢٥)، أقمنا في أرض إسرائيل إلى يوم شتات الملك يهو يكين عدد [شختم] وهو ثمانماية وأربعين سنة، ومثل هذا كثير. على هذا النحو من التنبيه روين أن قوله أعني يلعام «ففي وقته يقال ليعقوب وإسرائيل ما يفعل الله» (عد ٢٣:٢٣)، فيه سر أن في ذلك الوقت يعد مثل ما من ستة أيام الخليفة إلى ذلك الوقت. وترجع النبوة لإسرائيل ويقولون لهم الأنبياء ما يفعل الله. وهذا القول كان في السنة الثامنية وثلاثين من خروجهم من مصر، ويكون من أول التاريخ إلى ذلك اليوم ألفين وأربعماية وخمسة وثمانين سنة لأن العلامة [٢٤٤٨] الخروج، فعلى هذ الأساس وهذا

التأويل، ترجع النبوة لإسرائيل في سنة أربعة آلاف وتسعمایة وسبعين سنة من التكوين. ولا شك أن رجوع النبوة هي من مقدمات المشيح كقوله «وسيكون بعد هذا أنني الخ، فيتنبأ بنوكم وبناتكم» (يوء ٣: ١ ، ٣). وهذا أصبح قس قالوا لنا وقلنا إنه صحيح بعد أن حذرنا منه ونهينا غاية النهي عن بثه لئلا يستبطئوه الناس، وقد أعلمناكم به والله أعلم بالحق.

أما عبارتك القائلة إن إرميا يلمح إلى قدوم المشيح في الآية «وهو وقت ضيق على يعقوب» (إر ٣٠:٧) فهي غير صحيحة، لأنه تنقصها الإشارة إلى حرب يأجوج ومأجوج التي ستحدث بعد قدوم المشيح ببعض الوقت. فلا سقوط بوابة جيرون ولا نذائر مشابهة تدل على اقتراب مجيء المشيح. وبعض الآيات التي يفترض أنها نبوية تعزا خطأً إلى الحكماء، في حين أن أخرى ترجع أصولها إلى أشكال الكلام والأقوال الملغزة للحاخامين، والتي يجب ألا تؤخذ بحرفيتها.

وأما قولك إن هذا الوقت هو الذي قال عنه إرميا «وهو وقت ضيق على يعقوب» (إر ٣٠:٧)، فليس الأمر كذلك، بل هذا يشير به إلى حرب يأجوج ومأجوج ضرورة، وهي تكون بعد ظهور المشيح بمدة. وأما علامة اهتزاز جيرون وغيرها مما يشبهها فهي أمور ضعيفة جداً ما تنسب إلى الحخميم وليست له، ومنها ما هي مثل لغز، فلا تلتفت لأي شيء من ذلك في هذا المعنى.

المشيح اليمني الدجال

تذكر أن رجلاً بعينه في إحدى مدن اليمن يدعي بأنه المشيح. ولن أندهش ما دمت حياً منه ولا من أتباعه، لأني لا أشك بأنه شخص مريض ومجنون يجب أن لا نوبخه ولا نؤنبه على مرض

ليس خطأه. كذلك لا أندهش من مريديه، لأنهم اقتنعوا به بسبب مأزقهم المؤسف، وجهلهم بأهمية المشيح ومكانته العالية، ومقارنتهم الخاطئة بين المشيح وابن المهدي الذي يشهدون ظهوره. لكني مندهش من ميلك، وأنت العالم الذي درس بحرص عقائد الحاخامين، إلى وضع ثقتك فيه. ألا تعرف، يا أخي، أن المشيح نبي مبرز جداً، وبشكل أكثر وضوحاً من كل الأنبياء بعد موسى؟ ألا تعرف أن مدعي النبوة يعرض نفسه للعقاب الكبير، وذلك على ادعائه لذاته تمييز غير مبرر، مثله تماماً مثل الشخص الذي يتنبأ باسم الأوثان، ويحكم عليه بالموت، كما نقرأ في الكتاب، «لأن أي نبي اعتد بنفسه فقال باسمي قولاً لم آمره أن يقوله، أو تكلم باسم آلهة أخرى، فليقتل ذلك النبي» (تث ١٨ : ٢٠). فأي دليل أفضل من هذا على كذبه، في ادعائه بالذات على أنه المشيح؟

وأما ما ذكرته من أمر الرجل الذي يدعي أنه المشيح في قرى اليمن، فلعمري ما عجبت منه ولا من تابعيه. أما هو فلكونه مجنون بلا شك، وليس على المجنون مذمة ولا لوم في مرضه إذ لم يسببه. وأما تابعيه فلشدة الحال عليهم وجهلهم بموضوع المشيح ومرتبته العظيمة ظنوا ذلك، وظنوا أنه يقوم مثل قيام ابن المهدي الذي يشاهد، وإنما عجبت من قولك أنت، وأنت عالم، وقد طالعت أقاويل الحخميم لعل هذا صحيح. ألا تعلم يا أخي أن المشيح نبياً معظماً جداً. أعظم من جميع النبيين بعد موسى ربينو، وألا تعلم أن مدعي النبوة إذا كذب في دعوته يلزمه القتل لتعاطيه هذه المرتبة العظيمة، كما يقتل متنبئ باسم عبادة الأوثان، وهو قوله تعالى «لأن أي نبي اعتد بنفسه فقال باسمي قولاً لم آمره أن يقوله الخ» (تث ١٨ : ٢٠). وأي دليل أدل على

كذبه إلا مجرد دعوته أنه المشيح. وما أعجب قولك فيه إنه معروف بالعفة وعنده بعض علم. بمثل هذه الحظوظ يكون مشيح. أوجب هذا كله كونك لم تلتفت لمرتبة المشيح ما هي، وكيف يكون قيامته، وأين يكون، وما أخص علاماته.

ما أغرب ملاحظتك حول هذا الإنسان القائل إنه مشهور بالحلم وقلة الحكمة، كما لو أن ذلك كان حقاً من صفات المشيح. فهل تجعله هذه السمات مشيحاً؟ لقد ضُلِّلتم على يديه لأنكم لم تأخذوا بعين الاعتبار تفوق المشيح، طريقة ظهوره ومكانه، والعلامات المحددة لهويته. فالمشيح يصنّف حقاً بعد موسى في البروز والتميز، وقد أسبغ الله عليه بعض العطايا التي لم يسبغها على موسى، وذلك ما يمكن استنتاجه من الآيات التالية، «فرحه يكون في خوف الرب» (إش ١١:٣)، «يحل عليه روح الرب» (١١:٢)، «ويكون البر حزام حقويه» (١١:٥)، والله يضفي عليه ستة أسماء كما يشير المقطع التالي: «لأنه قد ولد لنا ولد وأعطي لنا ابن، فصارت الرئاسة على كتفه، ودعي بله [عجيباً]، يوئص [مشيراً]، إيل [إلهاً]، غبور [جباراً]، أبياد [أبا الأبد]، سار شلوم [رئيس السلام]» (إش ٩:٥). وآية أخرى تلمح إلى المشيح تتأوج كما يلي: «أنت إبني وأنا اليوم ولدتك» (مز ٢:٧). وهذه العبارات كلها تبرهن على تبرز المشيح. أما مرتبته فهي أعلى مراتب الأنبياء وأكرمها بعد موسى ربينو، ويخصه الله بأشياء ما خص بها موسى ربينو. قال واصفاً فيه «فرحه يكون في خوف الرب» (إش ١١:٣)، وقال «يحل عليه روح الرب» (١١:٢)، وقال «ويكون البر حزام حقويه» (١١:٥). وسماه تعالى ستة أسماء، وهو قوله «لأنه قد ولد لنا ولد» (إش ٩:٥)، ولم يزل

التغايي في وصفه إلى أن قال له تعالى «أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك» (مز ٢:٧).

شروط إضافية

الحكمة الفائقة هي شرط لازم للوحي. فإن إحدى مقولات إيماننا هي أن عطية النبوة لا تمنح إلا للحكماء، الأقوياء، والأغنياء. القوي يعرف بقدرته في السيطرة على مشاعره. الغني إشارة إلى الغنى في المعرفة. والآن نقول إننا لن نجرؤ على الوثوق بادعاءات إنسان بالنبوة، إذا لم يتفوق في الحكمة، ونحن بالأحرى لا نستطيع أبداً أن نتعامل بجدية مع مزاعم شخص يجهل أنه المشيح. وكون الرجل موضع التساؤل مدعٍ للعلم إنما يتضح من القرار الذي أصدره، بحسب ما تقول، إلى الناس كي يتخلوا عن أملاكهم في سبيل الصدقة. وكانوا على حق في عصيانه، أما هو فكان مخطئاً في تجاهل الشرع اليهودي بشأن الصدقات. فالكتاب المقدس يقول، «وإذا كان يكرس، يكرس شيئاً من كل الذي عنده »، ويقول الحاخامون في تفسيرهم لهذه الآية، «جزء من كل ما يمتلك، وليس كل ما يمتلك» (سفرا على الآية). وهكذا فقد وضع الحكماء قيوداً على سخاء الكرماء في عبارة صريحة، تقول «إن الذي يميل إلى التساهل مع الفقراء، لا يحق له سوى إعطاء خمس ما يملك» (كتوبوت ٥٠آ). ولا شك أن منهج التفكير الذي قاده إلى الادعاء بأنه المشيح، أغواه بأن يصدر أمراً إلى رفاقه بالتخلي عن أملاكهم وتوزيعها على الفقراء. لكن الميسورين سيصبحون عندئذ معدمين والعكس بالعكس. ووفقاً لأمره، فمن الضروري على محدثي النعمة أن يعيدوا أملاكهم التي حصلوا عليها مؤخراً إلى المفقرين حديثاً. مثل هذا النظام، والذي سيجعل

الأموال متحركة في دائرة باستمرار، هو ذروة الحماقة. ونحن نشترط على كل نبي أن يكون في غاية العلم، وحينئذ ينبيه الله، لأن الأصل عندنا «أن عطية النبوة لا تعطى إلا للحكيم، القوي والغني» (شبات)، وبينا أن معنى قوي الضابط لنفسه، والغني هو الغني بمعرفته. ومتى ما ادعى رجل ليس ببارع العلم أنه نبي لا نصدقه، فكيف أن يدعي أحد جاهل أنه مشيح. لأن دليل كونه جاهلاً ما وصفت عنه أنه أمر الناس أن يتصدقوا بجميع ما يملكون، فلما سمعوا منه، فهم صائبين وهو مخطئ لأنه خالف الشرع، لا ينبغي في شريعتنا أن يتصدق الإنسان بكل ما يملك بل ببعضه، قال تعالى «وإذا كان يكرس يكرس شيئاً من كل الذي عنده »، وقالوا رواة التفسير «من كل الذي عنده وليس كل الذي عنده» (سفرا على الآية)، وقالوا إن حد ذلك المستحب الخمس، قالوا «لا يحق للمبذر أن يعطي سوى الخمس» (كتوبوت ٥٠آ). ولا شك أن عقله حمله يدعي أنه مشيح، دله ذلك أن يأمر الناس بالخروج عن كل ما يقتنوه ويدفعونه للفقراء ويراجعوهم فقراء والفقراء أغنياء، فيلزمهم على ما شرع أن يردوا عليهم أموالهم، ويكون المال هكذا بيد الفقراء والأغنياء يرجعون مراراً وتكراراً، وهذا غاية الجهل.

سمات أخرى

بالنسبة للمكان الذي سيظهر فيه المشيح للمرة الأولى، فالكتاب المقدّس يصرّح بأنّه سيظهر أوّلاً في أرض اسرائيل فحسب، وذلك كما نقرأ، «يأتي فجأة إلى هيكله» (ملا٣:١). أمّا بالنسبة لقدوم المشيح، فلا شيء سيعرف عنه قبل أن يحدث. فالمشيح ليس شخصاً يمكن التبوء بأنّه سيكون ابن هذا أو ذاك، أو أنّه

سيكون من هذه العائلة أو تلك. على العكس من ذلك، فهو لن يكون معروفاً قبل ظهوره، لكنه سيبرهن عبر المعجزات والعجائب على أنه المشيح الحقيقي. والكتاب المقدّس يلمّح الى سلالته الغامضة حين يقول: «اسمه النبت، إنه ينبت من حيث هو» (زك ٦:١٢). كذلك فإشعياء في إشارته إلى قدوم المشيح يورد ما مضمونه أنه لن يعرف أبوه ولا أمه، لا أنسباؤه ولا عشيرته، «فإنه نبت كفرع أمامه، وكأصل في أرض قاحلة» (٥٣:٢). وبعد أن يظهر في فلسطين، سوف يلتم شمل إسرائيل في أورشليم ومدن فلسطين الأخرى. ثم ستنتشر الأخبار إلى الشرق والغرب حتى تصل إليكم في اليمن وإلى الذين خلفكم في الهند كما يعلمنا إشعياء، «أنتِ الباعثة رسلاً في البحر، في قوارب البردي على وجه المياه. أمضوا أيها الرسل السرّاع، إلى أمة ممشوقة سمراء إلى شعب مرهوب هنا وفي البعيد» (١٨:٢). وعملية الخلاص النهائي لن تعكس بحيث تظهر أولاً في أراض بعيدة، ثم تصل في نهاية الأمر إلى فلسطين.

وأما كيف يقوم المشيح وأين يقوم، فإنه يقوم بأرض إسرائيل خاصة وفيها يبتدئ ظهوره، كقوله تعالى «يأتي فجأة إلى هيكله» (ملا٣:١). وأما كيف قيامه، فإنه لا يعلم بوجه قبل قيامه وهو غير مشيح حتى يقال له إنه ابن فلان من الطبقة الفلانية، بل يقوم شخص لا يعلم قبل ظهوره، والآيات والمعجزات التي تظهر على يديه هي تكون الدليل على صحة دعواه وصحة نسبه، قال الله تعالى واصفاً في هذه الحال، اسمه النبت، إنه ينبت من حيث هو» (زك ٦:١٢)، وقال اشعياء أيضاً يصف ظهوره دون أن يعرف له لا أب ولا أم ولا طبقة ولا عشيرة ولا أنظار، قال، «فإنه نبت كفرع أمامه، وكأصل في أرض قاحلة» (٥٣:٢).

وبعد ظهوره في الشام وجمع شمل إسرائيل لأورشليم وسائر بلاد الشام تمتد الكلمة شرقاً وغرباً حتى تصلكم في اليمن والذي خلفكم في الهند كقوله تعالى على يد إشعياء «أنتِ الباعثة رسلاً في البحر الخ» (٢:١٨)، ما هو أن ينعكس الأمر ويبدي في الأقاصي وتمتد الكلمة للشام.

ربما أن القوى العظيمة، التي ينسبها كل الأنبياء من موسى إلى ملاخي للمشيح، مستنتجة من العبارات المختلفة في أسفار الكتاب المقدس الأربعة والعشرين. وأبرزها جميعاً هي حقيقة أن الحديث المجرد عن قدومه سوف يبعث الرعب في قلوب كل ملوك الأرض، وسوف تسقط ممالكهم، فلا يقدرون على حربه أو الثورة عليه. كذلك لن يقدروا على تشويه سمعته أو الإفتراء عليه، لأن المعجزات التي سيقوم بها سوف تخيفهم بحيث يصمتون بالكامل. ويشير إشعياء إلى خضوع الملوك في الآية، «وأمامه يسد الملوك أفواههم» (١٥:٥٢). فيقتل من يشاء، ولن يهرب أحد أو يخلص كما هو مكتوب، «ويضرب الأرض بقضيب فمه» (إش ٤:١١). لن تتوقف الثورة والحرب في العالم كله، من الشرق إلى الغرب، في بداية الحقبة المسيانية، لكن فقط بعد حروب يأجوج ومأجوج، كما أشار إلى ذلك حزقيال. ولا أعتقد أن ذلك الرجل الذي ظهر بينكم يمتلك هذه القوة.

وأما جملة فضائله التي وصفوه بها جميع الأنبياء من موسى أولاً إلى ملاخي، فأنت قادر أن تلتقطها من جميع الأربعة وعشرين، ولكن أخصها به أنه عندما يظهر يبهت الله ملوك الأرض من سماعه، وتختل ممالكهم، وينكلوا عن المقاومة له لا بسيف ولا بخلاف، أعني أنه لا يطعنون فيه

ولا يكذبوه، بل يبهتون من عجائب تظهر ويسكتوا إنقطاعاً. قال إشعياء يصف ظعون جميع الملوك «وأمامه يسد الملوك أفواههم» (١٥:٥٢)، وإنه يهلك من يريد هلاكه بالأمر والقول فلا يتخلص ولا ينجو منه، وهو قوله «ويضرب الأرض بقضيب فمه» (إش ١١:٤). وأما ارتفاع الفتنة والحرب من شرق الأرض إلى مغربها، فما يكون ذلك أول ظهوره بل بعد حرب يأجوج ومأجوج كما بين حزقيال. وما أرى أن هذا الذي ظهر عندكم فيه شيء من هذا.

يسوع المسيح ثانية

أنت تعرف أن المسيحيين يعزون كذباً قوىً عجائبية ليسوع الناصري، سحقت عظامه، كإقامة الموتى وغيرها من المعجزات. وحتى حين يقدمون حججهم بغرض الجدل، يجب أن لا نقتنع بها بأن يسوع هو المسيح. فنحن نستطيع تقديم ألف دليل أو ما شابه من الكتاب المقدس من وجهة نظرهم هم بأنه ليس كذلك. فهل يوجد فعلاً من يرغب بانتحال هذه المكانة لنفسه إلا إذا كان يرغب بجعل ذاته موضع سخرية؟

أنتم تعلموا أن يسوع الناصري سحقت عظامه، مع عظيم ما نسبت إليه النصارى أنه عمل من إحياء الموتى كما زعموا، ومن تلك العجائب يكذبونها، حتى إذا سلمناها لهم من جهة تقدير الحجة، ما يتخلصوا معنا في دعواهم أن اليسوع هو المسيح، إذ نوجدهم في النصوص ألف علامة أو قربها ما كانت ليسوع ولو على دعواهم. وهل يتعاطى هذه المرتبة إلا من يتخذ مضحكة.

المدعي اليمني ثانية

باختصار نقول، لو أن هذا الرجل يتصرف بوقاحة أو بازدراء، لكنت ارتأيت أنه يستحق الموت.

ويبدو في الحقيقة أنه سوداوي وبلا عقل. وفي رأيي، فإنّ أفضل ما يمكن أن ننصح به، لصالحكم وصالحه على حد سواء، هو وضعه في قيود حديدية لفترة ما، حتى يعلم الأغيار أنه مجنون. وبعد أن تذيعوا وتشيعوا الوضع العقلي لهذا الرجل بين الناس من خارج الملة، يمكنكم إطلاق سراحه دون تعرض سلامته للخطر. وحين يحصل الأغيار على معلومات عنه بعدما تسجنوه، سيوبخونه بسخرية، ويقولون إنه بلا عقل. وسوف لن يتحرشوا بكم. أما حين تماطلون حتى يعرفوا بهذه المسألة على هواهم، فسوف تجلبون على أنفسكم غضبهم على الأرجح.

وبالجملة أن هذا الرجل،
لو كان يقول هذا بعجرفة واستخفاف للزمه عندي القتل.
ولكن الأقرب عندي بل هو الحق أنه قد تملخن وفسد تخيله، وأنا أشير عليكم برأي هو خير لكم وله، وهو أن يقيّد مدة أيام حتى يشهر عند الغوييم كلهم أنه قد فسد عقله وتذيعوا ذلك وتشهروه عند الناس، ثم تطلقه. فتخلصوا نفسه أولاً، لأنه إذا سمع الغوييم منه بعد هذه الحالة هذه الدعوة ضحكوا منه وحملوه محمل الجنون كما هو. وتخلصوا أنفسكم من شر الغوييم. وإن تركتم الأمر حتى يشهر للغوييم تهلكوه، وقد ربما جلب عليكم غضب.

اضطهاد العرب لليهود

تذكروا، يا أخوتي في الدين، أنه بسبب كثرة آثامنا، رمانا الله وسط هذه الشعب، أي العرب، الذي اضطهدنا بشدة، وأصدر بحقنا قانوناً مهلكاً وتمييزياً، وذلك كما حذرنا مسبقاً الكتاب المقدس، «وبذلك أعداؤنا حاكمون» (تث ٣٢:٣١). فإنه لم تضايقنا أمة قط أو تهيننا وتحط من قدرنا وتكرهنا بقدر مافعلوا هم. لذلك، حين رأى

داود، طيب الله ذكراه، بإيحاء من الروح القدس، نكبات إسرائيل المستقبلية، لم يبك وينوح إلا على مصيرهم في مملكة إسمعيل، فصلى لأجلهم، لأجل خلاصهم، كما هو متضمن في الآية، «ويل لي فإني في ماشك نزلت، وفي خيام قيدار سكنت» (مز ١٢٠:٥). لاحظ هنا التمييز بين قيدار وبني إسمعيل، فالمجنون المعتوه هو من سلالة بني قيدار كما يعترفون هم عن طيب نفس. ويلمح دانيال إلى ذلنا وعارنا مثل «الغبار في الدراسة» تذروه أيدي العرب، أهلكهم الله سريعاً، حين يقول، «أسقط إلى الأرض بعض الجيش والكواكب وداسها» (٨:١٠). ومع أنهم أذلونا فوق طاقة البشر، وكان علينا أن نتحمل تلفيقاتهم، مع ذلك فنحن نتصرف مثلما يوصف الكاتب الموحى إليه، «أما أنا فكالأصم لا يسمع، وكالأخرس لا يفتح فاه» (مز ٣٨:١٤). كذلك فقد أمرنا حكماؤنا أن نتحمل بصمت مراوغات إسمعيل وأفعاله المنافية للعقل. ووجدوا تلميحاً خفيفاً إلى هذا الموقف في أسماء أولاده، «مشماع ودومة ومسّا» (تك ٢٥:١٤)، التي فسرت بأنها تعني، «إصغ، إصمت، وتحمل» (ترغوم يونان المنحول للآية). لقد أذعنا، شيوخاً وشباباً على حد سواء، لتعويد أنفسنا على الإذلال، كما علمنا إشعياء، «أسلمت ظهري للضاربين وخدي للناتفين» (٥٠:٧). ورغم هذا كله، فنحن لا ننجو من هذه المعاملة السيئة المتواصلة التي توشك أن تحطمنا. إنهم يثيرون النزاعات والتحريض على الفتن، دون أن يهتموا لمدى معاناتنا واختيارنا لأن نظل مسالمين معهم، كما تنبأ داود، «إني إذا تكلمت فللسلم، أما هم فللحرب» (١٢٠:٧). لذلك، إذا ما بدأنا نخلق لهم المشاكل ونطالبهم بالسلطة على نحو سخيف ومناف

للعقل فإننا نحكم على أنفسنا بالدمار. وأنتم يا أخوتي تعلموا أن الله قد أورطنا بشدة ذنوبنا في هذه الملة، أعني ملة اسماعيل الشديدة النكاية لنا والتفقه في شرنا وبغضنا، كما تواعدنا تعالى «وبذلك أعداؤنا حاكمون» (تث ٣١:٣٢)، وإنه لم يقوم قط على إسرائيل ملة اشد ضرر منها، ولا من بالغ في ذلنة وإصغارنا وتمكين بغضتنا مثلهم، حتى أن داود ملك إسرائيل لما أعرض عليه بوحي روح القدس جميع الشدائد التي تجري على إسرائيل، ما صاح ولا توايل ولا استغاث على لسان الملة غير من ملك اسمعيل. قال «ويل لي فإني في ماشك نزلت، وفي خيام قيدار سكنت» (مز ٥:١٢٠). واعتبروا تخصيص قيدار من بني اسمعيل لأن المجنون تأول إنما هو من بني قيدار كما هو مشهور في نسبه. وأيضاً دانيال ما وصف ذلنا وإصغارنا حتى صرنا «كالغبار في الدراسة» إلا في ملك اسمعيل أذله الله سريعاً، وهو قوله «أسقط إلى الأرض بعض الجيش والكواكب وداسها» (١٠:٨). ونحن مع كوننا نحتمل من ذلهم وكذبهم ومحالهم ما ليس في طاقة الإنسان أن يحتمله، وصرنا كما قال النبي «أما أنا فكالأصم لا يسمع، وكالأخرس لا يفتح فاه» (مز ١٤:٣٨)، وكما أدبونا الحخميم، طيب الله ذكراهم، بأن نحتمل كذب اسمعيل ومحاله بالسماع والسكوت، وجعلوا التنبيه على ذلك من أسماء بنيه «مشماع ودومة ومسّا» (تك ١٤:٢٥)، إسمع واسكت وحتمل (ترغوم يونان المنحول للآية). وقد رضنا أنفسنا كبار وصغار لمقاساة ذلهم كما أمرنا إشعياء وقال «أسلمت ظهري للضاربين وخدي للناتفين» (٧:٥٠)، ومع هذا كله ما نتخلص من شدة شرهم وتهافتهم في كل زمان، إلا كلما احتملنا وآثرنا

مسالمتهم أثاروا لنا الفتن
والحروب، كما وصف لنا داود «إني
إذا تكلمت فللسلم، أما هم
فللحرب» (١٢٠:٧). فكيف إذا
حركنا ساكن وادعينا لهم بالملك
بالهذيان والمحال إنما نلقي بأنفسنا
للهلاك.

حكايا يهودية من الزمن الإسلامي

الحكاية الأولى: مسيح دجال

سوف أقص عليكم بإيجار حكايا عديدة أعقبت ظهور المملكة العربية، والتي يمكنكم الحصول على بعض المنفعة منها. تتحدث إحدى القصص عن خروج جمع من اليهود، يعدون مئة ألف، من الشرق الذي وراء أصفهان، يقودهم فرد ادعى بأنه المشيح. وكانوا مجهزين بعتاد عسكري، وسيوف مشهرة، فقتلوا كل من جاء في وجههم.

وبحسب المعلومات التي وصلتني، فقد أوشكوا أن يدخلوا بغداد. وهذا حدث في بداية حكم الأمويين.

قال الملك لجميع يهود مملكته: «ادعوا علماءكم يخرجون لمقابلة هذا الجمع

النسخة س

وأنا واصف لكم أخبار جرت بعد أن قام دولة إسمعيل بإيجاز تتهذبون بها. فمن ذلك أنه خرج من الشرق من خلف أصفهان عدد كبير من اليهود يعدون مئة ألف ومعهم شخص يدعي أنه المشيخ وهم قد لبسوا العدد وأشهروا السيوف وقتلوا كل من لاقاهم ووصلوا فيها وصلنا من الخبر إلى مقاربة بغداد، وذلك في أول ملك بني أمية، فقال الملك لجميع اليهود الذين في ملكه: أخرجوا علماكم لهؤلاء الأقوام، فإن كان دعواهم حق، وهو منتظركم فصيحاً ونحن نهادنكم

النسخة م

ومما يجب أن تعلمه أن في صدر الإسلام قام شخص في عبر النهر وادعى أنه مشيح خرج في عشرة آلاف من إسرائيل، وكانت آياته أنه بات مبروص وأصبح صحيح. فلم يتم أمره وبقوا إسرائيل في بلاد أسفهان

ويتأكدون ما إذا كان ادعاؤهم صحيحاً وأنه منتظركم دون لبس. فإذا كان الأمر كذلك، فسوف نقرر إقامة السلم معكم في ظل الشروط التي تفضلونها. لكن

إذا كانت المسألة خديعة، فسوف اشن عليهم بالتالي الحرب ». وحين التقى الحكماء بهؤلاء اليهود، قال الأخيرون: «نحن ننتمي إلى المنطقة التي خلف النهر ». فسآلوهم آنئذ: «من حرضكم على هذه الثورة؟» وعلى ذلك أجابوا: «هذا الرجل الذي هنا، وهو من نسل داود، ونعرف أنه تقي وفاضل. وهذا الرجل، الذي كنا نعرف ليلاً أنه أبرص، قام في الصباح التالي صحيحاً ومعافى ». وكانوا يعتقدون أن البرص هو سمة من

كيف شئتم، وإن كان دعواهم باطل فأنا أقاتلهم. فخرجوا إليه جملة حخميم فقالوا لهم: نحن من بني عبر النهر. فقالوا لهم: ما حرككم للخروج. قالوا لهم: هذا الرجل نحن نعرفه ديِّن فاضل، وهو من بني داود، وبات وهو مبروص - ونحن نعلم ذلك - فأصبح سالم صحيح، وهذه من علامات المشيح. زعموا أنهم تأولوا قوله في المشيح «مصاباً مضروباً من الله ومذللاً» (إش ٥٣:٤)، ومعنه أنه مبروص. فبينوا لهم أن هذا غير صحيح وليس فيها ولا بعض علامات المشيح فكيف كلها. وقالوا لهم: يا أخوتي،

في شتات عظيمة وجرت عليهم من أجله شدائد.

سمات المشيح المميزة، والذي وجدوا تلميحاً إليه في الآية، «مصاباً مضروباً من الله ومذللاً» (إش ٥٣:٤)، والذي يعني البرص. شرح لهم حكماؤنا الأمر بأن هذا التفسير غير دقيق، وأن الرجل يفتقد حتى واحدة من السمات الخاصة بالمشيح، فكيف بها كلها. ثم نصحوهم بالتالي: «يا أخوتنا، ما تزالون قريبين من وطنكم الأم ولديكم إمكانية كي تعودوا إلى هناك. وإذا بقيتم في هذه الأرض فسوف لن تفنوا أنتم فقط، بل ستقوضون أيضاً أسس تعاليم موسى، عبر تضليل الشعب كي يؤمن بأن المشيح ظهر وأنه انتصر، في حين لا نبي لديكم في وسطكم، ولا دليل يبشر بقدومه ». فاقتنعوا بهذه الحجج.

أنتم الآن قريب من بلادكم، تمكنكم الرجعة، فإذا نشبتم في البلاد هلكتم وقطعتم كلمة موسى، إذ يظن الناس أن المشيح قد ظهر وغلب، وأنتم لا نبي معكم ولا آية بيدكم. فأصغوا إلى قولهم. ثم أخرج لهم السلطان كذا وكذا ألف دينار على جهة الضيافة كي يرحلوا عن البلاد. فلما بعدوا ورجعوا إلى موضعهم تجرد لليهود وغرمهم كل ما دفع وجعل لهم غيار أن يكتب على ثوبه ملعون ويعلق على طية ثوبه من خلفه وأخرى من أمامه. وداموا في الشتات الشديد إلى اليوم جميع الجموع الخراسانية والأسفهانية. هذا ما وصلنا من

وصرف السلطان لهم كذا الحديث.
وكذا ألف دينار بدافع
الضيافة كي يغادروا بلده.
لكن بعدما عادوا إلى
وطنهم، تبدل قلبه من ناحية
اليهود ففرض عليهم غرامة
بدل نفقاته. وأمرهم أن
يجعلوا علامة خاصة على
أثوابهم، وهي كتابة كلمة
«ملعون »، وبوضع سيخ
حديد على الظهر وفوق
الجبهة. ومنذ ذلك الحين
راحت الملل في خراسان
وأصفهان تعاني من محن
الشتات. وهذه الحادثة
تعلمناها من تقارير شفوية.

الحكاية الثانية: موسى الدرعي

أما الحادثة التالية فقد تحققنا منها وتأكدنا من صحتها لأنها حدثت في الأزمنة الحالية. فقبل نحو من خمسين سنة أو أقل من ذلك، جاء رجل تقي وفاضل إسمه موسى الدرعي من درعا إلى إقليم الأندلس، كي يدرس على يد الحاخام يوسف هاليفي، طيب الله ذكراه، ابن ميغاش، الذي أرجح جداً أنك سمعت به. ثم غادر إلى فاس مركز المغرب. اجتمع الشعب إليه بسبب تقواه وفضيلته وعلمه. فأخبرهم أن المشيح أتى، كما أوحى الله إليه في أحد الأحلام. مع ذلك فهو لم يدع على أساس من تواصله مع الإله، كما فعل المجنون السابق أنه هو

النسخة س

وأما ما نحققه ونعلم صحته لقرب مدته فهو منذ خمسين سنة اليوم أو قليلاً جاء رجل دين فاضل حاخام من حاخامي إسرائيل يعرف بمار موسى الدرعي جاء من يدرعا إلى بلاد الأندلس ليقرأ على الحاخام يوسف اللاوي، طيب الله ذكراه، ابن مغش الذي يصلكم خبره. ثم جاء إلى قاعدة بلاد المغرب أعني فاس، فاجتمع الناس له لدينه وفضله وعلمه، فقال لهم: إن المشيح قد قرب وقد أعلمني الله بذلك في النوم، ولم يدعي علم الله مثل ما ادعى هذا المجنون أنه مشيح، بل قال إنه

النسخة م

وكذلك قام رجل في المغرب في فاس منذ خمس واربعين سنة فدعا أنه بشير بأن المشيح يظهر تلك السنة فلم يصح قوله وجرت على إسرائيل من أجله شدائد أخبرنا من شاهدها بجملتها.

المشيح. بل أكد أن المشيح ظهر ليس إلا. تبعه أناس عديدون ووضعوا به ثقتهم. وحاول أبي وسيدي طيب الله ذكراه ثني الشعب وخذلانهم عن اتباعه. مع ذلك فقليلون فقط هم الذين تأثروا بوالدي، في حين ظل معظمهم، وبالأحرى كلهم تقريباً، ملتصقين بح. موسى، طيب الله ذكراه. وأخيراً راح يتنبأ بحوادث تحققت بغض النظر عما كان سيحدث. كان يقول: «لقد أُعلمت البارحة أن هذا وهذا سيحدث »، وكان يحدث كما تنبأ على نحو دقيق. ومرة تنبأ في حدوث مطر غزير في يوم الجمعة الذي كان قادماً وأن القطرات المتساقطة ستكون دماً. واعتبر هذا علامة على قدوم المشيح الوشيك، كما

أعلم أن قد ظهر المشيح، فتبعوه الناس وصدقوا قوله وكان أبي سيدي، طيب الله ذكراه، يصد الناس عنه وينهيهم عن تبعه، بل بعض أطاعوا والدي والجماعة بل الجميع تبعوا ح. موسى رحمه الله. ثم آخر الأمر كان وعد بأشياء فصدقت من كل ما يحدث. يقول: أعرض علي بارحة أنه سيكون كذا وكذا فيكون كما قال سواء إلى أن قال لهم إن هذه الجمعة ينزل مطر عظيم جداً ويكون الشيء النازل دم، وهذه هي العلامة التي قام «وأجعل الآيات في السماء وعلى الأرض، دماً وناراً وأعمدة دخان» (يؤ ٣:٣)، وكان ذلك الزمان في شهر مرحشفان فجاء

استُدل من الآية: «وأجعل الآيات في السماء وعلى الأرض، دماً وناراً وأعمدة دخان» (يؤ ٣:٣). وهذه القصة حدثت في شهر مار هشفان. سقط مطر كثيف جداً في يوم الجمعة ذاك وكان الفيضان المنحدر أحمراً ولزجاً كما لو أنه ممزوج بالتراب. وأقنعت هذه المعجزة الشعب بأنه نبي دون أدنى شك. وهذا الحدث بحد ذاته لا يتعارض مع عقائد التوراه، لأن النبوة سوف تعود إلى إسرائيل قبل قدوم المشيح، كما وضحت سابقاً. وحين وضعت غالبية الشعب ثقتها فيه، تنبأ بأن المشيح سوف يأتي في تلك السنة بالذات في أمسية عيد الفصح. ونصح الشعب ببيع ممتلكاتهم وصكوك ديونهم للمسلمين الدنانير العشرة

مطر عظيم جداً تلك الجمعة، وكان الماء النازل ماء أحمر كاثر كأنه مخلوط بطين، وهذه كانت آيته التي أيقن جميع الناس بأنه نبي بلا شك، وهذا لا يمتنع في الشريعة كما أخبرتكم عن النبوة أنها ترجع من قبل مجيئ المشيح. فلما صح عند أكثر الناس قوله، قال لهم إن المشيح يجيء هذه السنة ليلة الفسح، وأمر الناس أن يبيعوا أملاكهم وأن الديون من المسلمين ما يسوى دينار بعشرة وأن يجعلوا أمر التوراه بعيد الفسح، فإنهم لا يرونها أبداً. ففعلوا ذلك. فلما جاء فسح ولم يحدث حادثاً هلك الناس، إذ كان أكثرهم خرج عن بالشيء الدون والديون

بدينار واحد، وذلك لأجل حفظ وصايا التوراه المتعلقة بعيد الفصح، فهم لن يروهم من جديد، وهذا ما فعلوه. وحين جاء الفصح ولم يحدث أي شيء، انهار الشعب إذ كان معظمهم قد تخلص من أملاكه في سبيل حفنة تافهة من النقود، وأغرقتهم الديون. وحين علم الأغيار وعبيدهم في المواضع القريبة بهذه الخدعة، عارضوا التخلص منه لو اكتشفوا موقع إقامته. وعندما توقف ذلك البلد المسلم عن توفير الحماية له غادر إلى فلسطين حيث مات، أرجو لذكراه البركة. وحين كان يغادر قدم نبوءات متعلقة بحوادث كبيرة وصغيرة في المغرب تحققت كلها لاحقاً، كما أخبرني أولئك الذين رأوه.

قد تركبت على الناس، وشهر أيضاً عن الغوييم من جيرانهم وعبيدهم، ولو وجد لقتل، فلم تسعه بلاد الإسلام بعد ذلك فخرج إلى أرض إسرائيل ومات هناك طيب الله ذكراه. وكان علم الله قد وعد عند خروجه على ما أخبرني كافة الذين رأوه بكل ما طري في بلاد المغرب صغيره وكبيره.

الحكاية الثالثة: ابن آريه

أخبرني والدي، طيب الله ذكراه، أنه قبل ذلك الحدث بنحو من خمس عشرة سنة أو عشرين، عاش في قرطبة، مركز الأندلس، أناس محترمون، إنقاد بعضهم إلى العبادات التنجيمية. وكانوا يتفقون جميعاً على فكرة أن المسيح سوف يظهر في تلك السنة. فأخذوا شخصاً تقياً وفاضلاً اسمه ابن آريه كان يعلم الناس. فقاموا بمعجزات وقدموا نبوءات، تماماً كما فعل ابن الدرعي، حتى استمالوا قلوب كل الشعب. وحين سمع الرجال الفاعلين والمتعلمين من جماعتنا بهذا، اجتمعوا في الكنيس وأحضروا ابن آريه إلى هناك وجلدوه أمام العامة. بل فرضوا عليه غرامة، وحجزوا عليه، لأنه

النسخة س

وحدثني والدي طيب الله ذكراه أن قبل هذه القصة بنحو خمسة عشر سنة أو عشرين قاموا أقوام علما أخيار في مدينة قرطبة، وهي قاعدة بلاد الأندلس، وكان عندهم طرف كبير من أحكام النجوم، فأجمعوا أن المشيح يجيء في تلك السنة. ثم عملوا سؤالات حلم ليلة بعد ليلة، فصمموا أن المشيح رجل من أهل البلد، وعينوا على شخص فاضل خير يعرف بابن آريه، وكان يعلّم الناس، وأعطوا آيات وأخبروا أخبارات كما فعل الدرعي، حتى استمالوا قلوب جميع الناس. فلما سمع أعيان

النسخة م

ومن قبل ذلك بنحو عشر سنين قام آخر في بلاد الأندلس في مدينة قرطبة وادعى أنه المشيح، وكاد أن تكون دمار لحساب أعداء إسرائيل من أجله.

قدّم بصمته دليل صحة أقوال أتباعه، عوض منعهم والقول لهم إن هذا يعارض ديانتنا. وفعلوا الشيء ذاته مع الأشخاص الذين اجتمعوا حوله. ولم ينج اليهود من غضب الأغيار إلا بشق النفس.

جماعتنا وعقالهم بذلك اجتمعوا في الكنيسة وجابوا هذا الذي هو آريه وضربوه في الملأ وغرموه غرامة عقوبه وحرموه على كونه سكت عن هذا وسلم هذا الدعوة لمدعيها ولم ينهيهم ويعلمهم ما على الشرع في ذلك من الحيف. وكذلك فعلوا بجميع الأقوام الذين التفوا عليه ما تخلصوا من الغوييم إلا بشدة شديدة.

الحكاية الرابعة:المسيح الفرنسية

قبل أربعين سنة تقريباً من حادثة ابن آريه في الأندلس، ظهر رجل في لينون، وهي مركز كبير في قلب فرنسا، كان فيها أكثر من عشرة آلاف عائلة يهودية. وادعى بأنه المشيح. وافتُرض أنه كان يقوم بالمعجزة التالية: في الليالي المقمرة كان يخرج ويتسلق قمم الأشجار العالية وينسل كالطير من شجرة إلى شجرة. ثم استشهد بآية من دانيال ليبرهن بأن معجزة كهذه كانت ضمن سلطان المسيح: «فإذا بمثل ابن الإنسان آتٍ على غمام السماء... وأوتي سلطاناً» (دا ٧: ١٣ - ١٤). أضحى العديد ممن شهدوه من أتباعه. واكتشف الفرنسيون الأمر، فسلبوا العديد من أتباعه وحكموا

النسخة س

وقبل هذه الحادثة الذي لابن آريه في الأندلس بنحو أربعين سنة كان قد قام قائم في داخل بلاد الإفرنج في قاعدة كبيرة إسمها لينون، فيها نيف عن آلاف عائلة من اليهود، وادعى أنه المشيح، وكانت آيته عندهم أنه يخرج بالليل في ليالي القمر، ويطلع من رؤوس الثمار العالية في الفحص، ثم يهوي في الهواء من ثمرة إلى ثمرة كأنه يطير. وهذا قال هو قوله في المشيح فإذا بمثل ابن الإنسان آتٍ على غمام السماء... وأوتي سلطاناً» (دا ٧: ١٣ - ١٤). وشهدوا له بهذا كثيرين وتبعوه، فشهروا بهم

النسخة م

وقبله قام آخر في بلاد الافرنج وادعى أنه المشيح، وعمل آيات فيما قال وقتلوه الافرنج وقتلوا معه جماعة من إسرائيل.

عليهم بالموت، ومعهم الدعي. لكن بعضهم يؤكد أنه ما يزال مخفياً إلى هذا اليوم بالذات.

الإفرنج فقتلوا منهم كثيرين ونهبوهم، وقتل هو في الجملة، وبعضهم يزعم إلى اليوم أنه غاب.

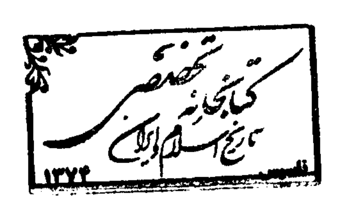
الأنبياء والمدعون

لقد تنبأ الأنبياء، وأعلمونا، كما أخبرتكم، أن كثيراً من المدعين والمحرضين سوف يظهرون بأعداد كبيرة وقت اقتراب موعد قدوم المشيح الحقيقي، لكنهم لن يقدروا على تحقيق مزاعمهم. وسيهلكون ومعهم العديد من أنصارهم.

لقد تنبأ سليمان، طيب الله ذكراه، بإيحاء من الروح القدس، أن فترة النفي الطويلة سوف تؤثر في بعض الناس بحيث يلتمسون إنهاءها قبل الموعد المحدد، ونتيجة لذلك سوف يهلكون أو تحل بهم المصائب. وهكذا فقد حثهم وناشدهم بكلام مجازي كي يكفوا عن ذلك، كما نقرأ: «أستحلفكن، يا بنات أورشليم، بظباء أيائل الحقول، أن لا توقظن وتنبهن الحب حتى يشاء» (نش ٢:٧؛ ٨:٤). وأنتم يا أخوتنا ورفاقنا، التزموا باليمين، ولا توقظوا الحب إلا حين يشاء (كتوبوت ١١١آ). وهذه هي الأشياء التي قد تقدم وعد الأنبياء بها وأعلمونا بها أخبرتكم، أنه عند قرب مجيئ المشيح الحقيقي يكثر المدعين والمتوهمين، ولا يصح دعواهم ويهلكون ويهلك معهم كثيرين. ولما علم سليمان عليه السلام بوحي من الروح القدس أن هذه الملة عند نشبتها في الشتات ستروم الحركة في غير الوقت الذي ينبغي، ويهلكوا بذلك وتلحقهم الشدائد، حذر من ذلك وحلف عليه على جهة المثل وقال «أستلحفلكن يا بنات أورشليم الخ» (نش ٢:٧). وأنتم يا أخوتنا وأحبابنا التزموا يمينهم «ولا توقظوا الحب إلا حين يشاء» (كتوبوت ١١١ آ).

كلمات النهاية

أرجو من الله، الذي خلق العالم بصفات الرحمة أن يمنحنا ميزة انتظار عودة المنفيين، ميراثه، تأمل نعمة الرب، وزيارة هيكله باكراً. أرجو أن يأخذنا من وادي ظلمة الموت الذي وضعنا فيه. أرجو أن يزيل الظلمة عن عيوننا والكآبة عن قلوبنا، وأرجو أن يحقق في أيامنا كما في أيامكم النبوءة التي تحتويها الآية، «الشعب السائر في الظلمة، أبصر نوراً عظيماً» (إش ٩:١). أرجو أن يعمي أعدائنا بغضبه، وأن ينير ظلمتنا بحسب ما هو مكتوب، «هاإن الظلمة تغطي الأرض... ولكن عليك يشرق الرب». تحياتي لك، يا صديقي الغالي، يا أستاذ العلوم، وأمثولة التعليم، وإلى زملائنا الواسعي المعرفة، وإلى كل بقية الشعب. سلام، سلام، مثل النور الذي يشع، والكثير من السلام حتى يتوقف القمر عن الوجود آمين.



توصية أخيرة

أرجو أن ترسل نسخة من هذا الكتاب إلى كل جماعة في المدن والبوادي، كي يقوي إيمان الشعب ويثبت أقدامهم. إقرأه في الإجتماعات العامة والخاصة، وبذلك تصبح نافعاً للناس. خذ إجراءات كافية حتى لا تتسلل محتوياته إلى الأغيار على يد شخص شرير فيأخذنا الحظ العاثر (عصمنا الله منه). حين بدأت أكتب هذه الرسالة انتابتني هواجس كثيرة بشأنها، لكنها نقضت عبر قناعتي الراسخة بأن الخير العام له أولوية على سلامة واحدنا الشخصية. إضافة إلى ذلك، فأنا أرسلها إلى شخص مثلك، «ويمكن الوثوق بسر الرب إلى الذين يخافونه». وقد أكد لنا حكماؤنا، خلفاء الأنبياء، أن الأشخاص المنشغلين برسالة دينية لن يواجهوا مصيبة (بساحيم ٨ب). وأية رسالة دينية أهم من هذه. السلام لكل إسرائيل. آمين.

والذي أرغبه منك أن توجه نسخة هذا الكتاب لكل جمع وجمع، باديه وحاضر، ليشد من إيمانهم ويثبت أقدامهم، وتقرأه على الجمع والفرد لتكون من المفيدين للناس، بعد أن تتحفظ غاية التحفظ من شرير يبثه في أمم العالم فيطير ما يعصم الله منه. وقد كتبته وأنا خائف من هذا كثير، لكن رأيت أن ورعة الربانيين أهلاً يحتمل الغرر، وأيضاً أني وجهت لمثلكم «وسر الله يعطى لأولئك الذين يخشونه». وقد ضمنوا لنا خلفاء الأنبياء وقالوا «لا يلاقي القائمون بالواجب الديني أية مصيبة» (بساحيم ٨ ب). ولا واجب ديني أعظم من هذه وسلام على كل إسرائيل.

المحتويات

قائمة إصدارات المركز الأكاديمي للأبحاث

•**نقد الرواية التاريخية ، عصر الرسالة أنموذجا ،د.عبد الجبار ناجي،** ٣١٨ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):3-762-88-9953-978 .

•**التشيع والاستشراق عرض نقدي مقارن لدراسات المستشرقين عن العقيدة الشيعية وأئمتها، د.عبد الجبار ناجي،**٤٨٠ صفحة قطع متوسط ،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):9-760-88-9953-978 .

•**محمد والفتوحات، فرانشيسكو كبريلي، ترجمة:د. عبد الجبار ناجي،** ٤١٦ صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):6-761-88-9953-978 .

•**أبحاث في التاريخ الإسلامي، د. جواد علي، دراسة ومراجعة: د. نصير الكعبي،** ٥٣٦ صفحة قطع كبير(وزيري)، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف،بار كود(ISBN):7-764-88-9953-978 .

•**أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دراسة ومراجعة : د. نصير الكعبي،**٥١١ صفحة قطع كبير(وزيري)، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):0-763-88-9953-978 .

•**اليزيديون وأصولهم الدينية ومعابدهم والأديرة المسيحية في كردستان العراق، توماس بوا، ترجمة : سعاد محمد خضر،** ١٩٠ صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):9-757-88-9948-978 .

•**كنيسة المشرق. التاريخ. العقائد، الجغرافية الدينية، الأب الدكتور يوسف حبي،** ٥١٤ صفحة، قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، باركود(ISBN):2-7756-88-9948-978 .

•**يهود كردستان ورؤسائهم القبليون(دراسة في فن البقاء)، مردخاي زاكن، ترجمة: سعاد محمد خضر،** ٤٦٢ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):5-755-88-9948-978 .

- **المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، جولد زيهر، ترجمة حسن عبد القادر،** ١٨٢ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN): 978-9948-88-754-8.
- **أذربيجان في العصر السلجوقي ، د. حسام الدين علي غالب النقشبندي ،** ٤٢٠ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود: (ISBN) 978-9948-88-753-1.
- **عبد الكريم قاسم في ضوء ملفته الشخصية ، د. عماد عبد السلام رؤوف ،** ٢١١ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN): 978-9948-88-752-4 .
- **كعب الأحبار: مسلمة اليهود في الاسلام،اسرائيل ولفنسون(أبو ذؤيب)،**١٥٣، صفحة ، قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN): 978-9948-88-751-7.
- **المفصل في نشأة النوروز الذهنية الابداعية .دراسة في فكرة الأعياد الشرقية، د. حسين قاسم العزيز،**٤٢٦ صفحة، قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف،بار كود:(ISBN) 978-9948-88-750-0.
- **معرفة الشرق في العصر العثماني، الرحلة الايطالية إلى العراق،الأب د.بطرس حداد، ترجمة عن الإيطالية،**١٧٤ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):978-9948-88-749-4 .
- **المغول التركيبة الدينية والسياسية، بروفسور شيرين بياني، ترجمه عن الفارسية : سيف علي، دراسة ومراجعة:** د. نصير الكعبي، ٥٥٧ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):-978-9948-88 748-7.
- **الحركات الدينية في إيران في القرون الإسلامية الأولى، د. غلام حسين صديقي،ترجمه عن الفارسية د. نصير الكعبي،** ٤٤٢ صفحة، قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):978-9948-88-747-0 .

•الألم الخلاصي في الإسلام. دراسة في المظاهر الدينية لمراسم عاشوراء عند الشيعة الامامية، بروفسور محمد أيوب، ترجمه عن الانكليزية: الأب أمير ججي الدومنيكي،٣٣٧ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN) :743-88-9948-978.

•الاستشراق في التاريخ: الاشكاليات، الدوافع ، التوجهات. الاهتمامات، د. عبد الجبار ناجي،٥٨١ صفحة قطع كبير(وزيري)، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN) : 6-745-88-9948-978.

•المدارس التاريخية الإسلامية مدرسة البصرة أنموذجا، د. عبد الجبار ناجي،٣٦٥ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN): 9-744-88-9948-978.

•تاريخ اليهود في بلاد العرب، اسرائيل ولفنسون(أبو ذؤيب) ، ترجمة د. مصطفى جواد، ٢٦٠ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN): 2-743-88-9948-978.

•المعتقدات الدينية في العراق القديم، د. سامي سعيد الأحمد، ١٦٥ صفحة، الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف،بار كود: (ISBN)-88-9948-978 742-5.

•الديانات الشرقية القديمة: الزردشتية والمانوية، بروفسور سيد حسن تقي زاده، د. محمد مهدي ملايري، ١٦٦ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود: (ISBN)3-3-9921030-0-978 .

•الطوفان في المصادر السومرية ـ البابلية ـ الآشورية ـ العبرانية،أ. فؤاد جميل،٨٤ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، بار كود(ISBN):-9921030-0-978 0-2.

•الامومة عند العرب دراسة في أنماط الأنوثة والنكاح،المستشرق الهولندي ج.أ.أويلكين،٩٦ صفحة، قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN)2-02-927946-1-978 .

• البلاط و المجتمع الإسلامي وعلم التاريخ: دراسة في سيسيولوجيا الكتابة عند المسلمين،المستشرق البريطاني جسي روبنسون, ترجمه عن الانجليزية د. عبد الجبار ناجي،٤٨٧ صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):.9-1-9921030-0-978 .

• تاريخ الإلحاد في الإسلام، الدكتور عبد الرحمن بدوي،٢٥٣صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف. بار كود(ISBN):4-6-9921030-0-978

•الصابئة المندائيون الأصول. الشرائع. الكتاب المقدس، الأب انستاس ماري الكرملي، ١١٠صفحة، قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):0-4-9921030-0-978 .

•معرفة الشرق في العصر العثماني الرحلة الفرنسية إلى العراق ، الرحالة أوليفييه، ترجمه عن الفرنسية:الأب د.يوسف حبي، ٢٩٢ صفحة قطع ،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف،بار كود(ISBN):8-8-9921030-0-978 .

• الابل والخيل في العالم الشرقي القديم ، أ. رضا جواد الهاشمي،١٠٦ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):5-01-927946-1-978 .

•الحركات الاجتماعية في القرون الإسلامية الأولى، رضا رضا زاده لنكرودي، ترجمه رحيم حمداوي، راجعه وقدم له د.نصير الكعبي،٤٠٩ صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):-0-978 .9921030-2-6

•دراسات عن أساطير شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام :مدخل لفهم معتقداتهم ، الدكتور حسين قاسم العزيز ٤٠٤ صفحة، قطع متوسط، الورق ، بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN)1-7-9921030-0-978 .

•مملكة كندة في شبه الجزيرة العربية،المستشرق الهولندي جونار اولندر، ٢٨٥ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):978-1-927946-00-8 .

•مكة في الدراسات الاستشراقية، المستشرق البلجيكي الأب لامانس،المستشرق البريطاني البروفسور كستر،٢٣٩ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف،بار كود(ISBN):978-0-9921030-9-5 .

•بغداد في القرون الوسطى، البروفسور جورج مقدسي،١١٠ صفحة، ترجمة :د.صالح احمد العلي صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):978-0-9921030-5-7 .

•أطلس الشيعة: دراسة في الجغرافية الدينية للتشيع، د. رسول جعفريان ، ترجمه د. نصير الكعبي، سيف علي،٦٠٠ صفحة قطع كبير A4 ، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN): 978-1-927946-14-5.

•شخصيات قلقة في الإسلام، دراسة ألف بينها وترجمها د. عبد الرحمن بدوي، ٢٥١ صفحة قطع متوسط ، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN): 978-1-927946-03-9.

•عقوبات العرب في جاهليتها، للعلامة السيد محمود شكري الآلوسي، حققه وشرحه محمد بهجت الأثري، ٨٠ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):978-1-927946-04-6

•كنائس بغداد ودياراتها، الأدب الدكتور بطرس حداد، ٢٧١ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):-978-1-927946-05-3.

•المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، للمستشرق الهولندي ريهان دوزي، ترجمة الدكتور أكرم فاضل، ٣٥٤ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):-978-1-927946-06.

•معرفة الشرق في العصر العثماني (مذكرات السفير الأمريكي في الآستانة)، المستر هنري مورغنتو، تعريب فؤاد صروف، عني بنشره يوسف توما البستاني، ١٨٩ صفحة

قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN): 978-1-927946-07-7.

•معرفة الشرق في العصر العثماني (مغامرات الكولونيل لجمن في شبه الجزيرة العربية) ، ترجمة سليم طه التكريتي، ٧٨ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):2-15-978-1-927946 .

•الإسلام المبكر في أربع نصوص يهودية، تأليف مجموعة من المؤلفين، إعداد نبيل فياض، ١٦١ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):1-09-978-1-927946 .

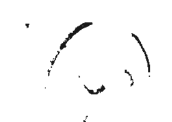
•أحوال نصارى بغداد في عصر الخلافة العباسية، تأليف رفائيل بابو اسحاق، ٢٦١ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):7-10-978-1-927946 .

•إعادة قراءة التشيع في العراق حفريات استشراقية، تأليف عدد من المستشرقين، تعريب وتقديم وتقويم د. عبد الجبار ناجي، ٣٤٠ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):-978-1-927946 11-4.

•من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، بندلي الجوزي، ١٨٠ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):-978-1 927946-13-8.

•الدولة العباسية (المعرفة – الإدارة) ، جمع من المستشرقين، ٣٠٠ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN): 978-1-927946-14-5.

•الرسالة اليمنية، موسى بن ميمون، ترجمة وتقديم نبيل فياض، ١٣٨ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN): 978-1-927946-14-5.



•بلاد ما بين النهرين في الكتابات اليونانية الرومانية، مجموعة من المؤلفين، ١٩٠ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN): 978-1-927946-14-5.

•الهاجريون، تأليف باتريشيا كرونه- مايكل كوك، ترجمة نبيل فياض، ٣٠٩ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN): 978-1-927946-15-2.

• معرفة الشرق في العصر العثماني (الرحلة الأوربية إلى العراق)، الرحالة البرتغالي تكسيرا- الرحالة البريطاني جونس- الرحالة البريطاني جون أشر، ١٤٤ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN): 978-1-927946-19-0 .

• كوتا والمعلقات (الاستشراق الألماني والشعر العربي القديم)، كترينا مومسن، ٧٨، صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):978-1-927946-16-9 .

•معجم مفاهيم القرآن وألفاظه، تأليف الدكتور محمد بيستوني، ٥٥٠ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN): 978-1-927946-18-3.

هذا الكتاب:

إن كتاب الرسالة اليمنية شريعة اليهود وجدالهم مع الفرق الإسلامية ونبؤات آخر الزمان المترجم إلى العربية والمكتوب أصلاً بالحرف العبراني يصنف ضمن مجموعة النصوص العبرية المدونة ضمن السياق الإسلامي غالب يظهر فيه التأثير البينّي المهّجن استعمال العربية بوصفها وعاء للتعبير ونقل الأفكار بوساطة الكتابة بالحرف العبراني على الرغم من إشارة التأثيرة الواضحة التي من الممكن استلامها عبر هذا النمط من التأليف، غير إن المحتوى الموضوعي والمعلوماتي للكتاب ينبأ عن محاولة للتخفي عن مجتمع القراء الجماعي الناطقين والقارئين للعربية إلى مجتمع الجالية اليهودية المتعايشة في أوساط إسلامية بوصفها المتلقي أو الهدف من وراء ذلك التأليف وهذا يوحي إلى أن المؤلف سعى بوساطة مؤلفه هذا إلى تجاوز المجتمع الإسلامي ومقيداته ورقابته إلى المجتمع اليهودي عبر رسالة إحيائية جاءت بطريقة الإجابة على أسئلة آنية استفتائية ضاغطة على مجتمع الأقلية الدينية.


ISBN 978-1-927946-14-5
9781927946145

